روايات







# الجندى المجهول

BROWN ON RESOLUTION

٥٠ مليما

# الجندي المجهول

## الفصـــل الأول

استلقى البحار الأول البرت براون على جزيرة رزليوشن وهو يعانى من سكرات الموت .. كان مكوما بين بعض الصخور البركانية الداكنة ، التى تتشكل منها الى حد كبير تلك الجزيرة المنعزلة ، وقد رفع ركبتيه قليلا وراح يهذى من الحمى ، فكان يتمتم احيانا ببعض كلمات مبهمة ثم يستدير الى جنبه فى ضعف ، غـــير أنه ما تمر ثانية حتى يسقط على ظهـــره مرة أخرى .. وكانت على جسده بقايا من سترة كانت ذات يوم سترة بحار ناصعة البياض ، لـكنها لم تعد الآن سوى أسمال رثة بالية لا يمكن التعرف على أصلها . أما وجهه فكان متورما ومشوهـــا ، وكذلك كانت يداه اللتان غطتهما الأورام البشعة التى ســـببتها له لدعات آلاف الحشرات السامة . وقد راحت الآلاف من تلك الحشرات الفتاكة تحلق فوق جسده وهو مستلق خلف احدى الصخور التى ألهبتها حرارة الشمس ، فكاد يختفى عن الأنظار .. أما قدماه فـكانتا أيضا متورمتين وقد انتشرت فيهما الجروح البشعة رغم ماكان يعلق بهما من بقايا حذاء قديم ، فبدت وكأنها جروح ملتهبـــة فى جسد حصان وليس فى أقدام بشرية . وكان منظرها الشنيع يثير الشفقة حتى فى أقسى القلوب البشرية على وجه الأرض .

ومع هذا فان اية محاولة استكشاف عابرة لجســـد البرت براون ستكون كافية لاظهار أنه لم يكن يموت بسبب تلك الحشرات السامة اللاذعة ، ولا حتى بسبب حالة قدميه البشعة ، فقد كانت الإسمال البالية القذرة على كتفه الأيمن ملطخة بلون أسود بشع ، وحينما اســـتدار الى جنبـــه كشف ظهره عن وجود مثل هـــذه اللطخات . وبنظرة دقيقة خلال تلك الاســـمال يكشـــف المرء أن الجزء الايمن من صدر براون مغطى بجلطة كبيرة من دم نازف فى

حجم مثانة داخلية مفرغة لكرة قدم ، اثر رصاصة اخترقت صدره فوق الضلع الثالث من ضلوعه .

كان براون يرقد على حافة الجزء الأوسط من الجزيرة والذي كان خاليا تماما من أي درب من دروب الحياة ، وكانت ترتفع حوله الصخور البركانية لأعلى نقطة في تلك الجزيرة ، وهي صخور غير منتظمة تحمل ملايين الحواف الحادة كأنها الأمواس القاطعة ، تلك الحواف ، التي توضح لنا حالة اقدام براون البشعة . وعلى جانبي براون انتشر التين الشوكي ومختلف أنواع النباتات الضارة التي غطت الجزيرة التي كانت مقوسة من ناحية الخلف فبدت على شكل نصف دائرة ، وكانت هذه النباتات تزداد كثافة على منحدرات الجزيرة فتغطيها بمختلف أنواع الأشواك المدببة التي تفسر تهلهل ملابس براون . وعلى الخطوط الضئيلة من الظلال التي تنتشر على نبات التين الشوكي انتشرت مختلف أنواع السحالي المبرقشة التي كانت تغفو في بلاده . وفي السماء كانت طيور البحر تحلق فوق جسده ، غير أنه من حين لآخر قد يهبط طائر غرد من أسفل السفح مقتربا من جسد براون المتهالك محملقا فيه بنظرات ملؤها الشفقة . وفي أسفل السفح ، فوق مستوى المياه بقليل ، حيث تضطرم مياه المحيط الهادى بصخور الجزيرة البركانية ، تجمعت آلاف السحالي البحرية ، تلك المخلوقات العجيبة المنهمكة في قرض الأعشاب البحرية التي تعيش عليها ، ومن حولها انتشرت « الكابوريا » بألوانها القرمزية الرائعة ، ومختلف أنواع الحيوانات البرمائية التي تمثل الحياة على تلك الجزيرة ، وهي تعد آخر جزيرة مجهولة من جزر « الجالاباغوس » .

وفي أعلى كانت السماء تلمع بلون ازرق صاف ، حيث كانت الشمس الحارقة تنشر اشعتها التي تبدو كأنها تيار من الحرارة يصهر كل ما يقع تحته . أما البحر فقد كان اقل زرقة من السماء ، وهناك على مدى الأفق ، يمكن للمرء أن يلمح خطا طويلا رمادي اللون يمتد في كلا الاتجاهين على مدى البصر ، تطارده طيور

البحر التى تجمعت فوقه بالمئات باحثة عن طعـــامها سواء من مخلوقات حية أم ميتة تكدست عند ذلك الخط الفريب .

وعلى مدى الأفق البعيد لا يمكن للمرء أن يقتفى أى أثر للحياة البشرية عدا البحار الأول براون الذى كان مكوما بين الصـــخور ، يهدده الموت بين لحظة وأخرى نتيجـــة للجوع والعطش ، والحمى وفقر الدم ، فيتلاشى بموته الأثر الأخير من آثار الجنس البشرى فى كل تلك المساحة الشاسعة • وقد يعثر بعض العلماء المستكشفين فى الأعوام القادمة على عظامه المتفتتة ، وقد يتساءلون عن سر الضلع المكسور أو الكتف المحطم ، غير أنه من المشكوك فيه تماما أن يتمكن براون وقتها من أن يشرح لهم شيئا •



## الفصل الثانى

لقد بدأ الأمر كله منذ ما يقرب من عشرين عاما حينما وضعت أرملة مستر براون طفلها الوحيد فأسمته البرت .. وهى لا تدرى لماذا أطلقت عليه هذا الاسم بالذات ، فرغم أن أحدا من عائلتها لم يكن يحمل هذا الاسم ، ورغم أنها لم تعرف فى حياتها أحدا بهذا الاسم ، فقد شعرت أن تسمية طفلها الوحيد به سوف يرضى نزعتها القوية فى التملك ويشعرها بأن طفلها هو ملك لها .

وكبر ألبرت براون كما يكبر بقية الأطفال ، رغم أن أمه أجاثا براون كانت ترفض بإباء الاعتراف بوجود أى تشابه بين طفلها وبين الأطفال الآخرين .. وكم بلغت سعادتها ذات يوم ذروتها حينما استطاع أن يناديها بكلمة « أمى » وأن ينادى مسز روجرز التى تسكن عندها أجاثا ، باسم « مس أوزز » .

وقد عادت أجاثا الى مسكن روجرز وهو المنزل رقم ٣٧بشارع كولشستر بعد خروجها من دار سالزبورى للتمريض . وكان المسكن مريحا فلم تشأ أجاثا أن تبحث عن غيره ، وكذلك لم تجد مسز روجرز مستأجرا جديدا يرضيها . وقد أحبت أجاثا ذلك الشارع البسيط المتواضع فى خلال الفترة التى حملت فيها البرت ، بالاضافة الى أنها كانت قد بدأت انشاء علاقات خاصة بالعمل بينها وبين سكان الحى ، فقد كانت ملابس البوت الأنيقة تستحوذ على اعجاب كل من يراها ، فذاع صيتها فى المكان بأكمله، وقدمت لأجاثا عروض كثيرة تستفسر عن مدى قبولها لفكرة قيامها بصنع ملابس مماثلة لأطفال الحى سواء أكانوا ممن ولدوا مؤخرا أم ممن يتوقع وصولهم بين حين وآخر .. ووجدت أجاثا أن لديها فراغا كبيرا رغم كل ما كانت تمضيه من وقت لرعاية طفلها ، وكانت

تمقت الكسل مقتا كبيرا ، فقبلت الأعمال المعروضـــة عليها فى شغف شديد • ولم يمر وقت طويل حتى اكتشفت أنها شـــغلت معظم وقت فراغها ، ففى الوقت الذى لا تكون فيه يداها مشغولتين برعاية ألبرت تكونان مشغولتين دائما بأعمال التطريز التى اتسعت دائرتها فشملت مختلف أنواع الملابس الخاصة بالعرائس • ورغم أن الربح الذى كانت أجاثا تحصل عليه من هذه الأعمال لم يكن كبيرا ، ورغم أنها وجدت أن بامكانها ألا تنفق فى العام أكثر من مائة جنيه فانها كانت متحمسة لزيادة دخلها ورفع مدخراتها • وكم كانت دهشة محاميها مستر دين حينما أعربت له ذات يوم عن رغبتهـــا فى أن يصـــبح ألبرت ضـــابطا بحـــريا ، وقال بأن ذلك قد يتطلب منها مالا كثيرا لكن أجاثا كانت تعز هذا المطمح اعزازا كبيرا فظل الأمل فى تحقيقه يراودها طيلة حياتها ، وراحت تعـد العدة له من اهتمام كبير بالبرت ورعاية له وتوفير المزيد من المال؟ وقد جعلها هذا تقبل على عملها بمزيد من القوة والنشـاط •

وعلى هذا فقد نشأ ألبرت فى عالم متعدد الجوانب ، ففى الطابق العلوى كانت أمه هناك دائما تتحدث اليه برقة ووضوح وأدرك بفطرته البسيطة أن من الخير له أن يطيعهـــا دائما • ومن الناحية الأخرى • فحينما أدرك كيف يهبط السلم ، كان يلتقى بمسز روجرز التى كانت ترحب به ترحيبا حارا وتقدم له دائمـــا كلمة طيبة أو شطيرة من الخبز مغطاة بالسكر والزبد أو تشـــاركه فى لعبة من ألعابه أو أى شىء من هذا القبيل مما يبعث فى قلبـــه الفرح والسرور •• ورغم أن مسز روجرز بكل ما كانت تحمل له من اعزاز ، وبكل ما تقدم له من هدايا لم تحتل فى قلب ألبرت وخياله المكانة التى احتلتها أمه التى كانت تحسن مشاركته اللعب، وكانت تقـــرأ له الكتب المسلية ، وكان صوتها العذب بترنيماته الحلوة الصافية يفوق ألف مرة بالنسبة له ، صوت مسز روجرز الخشن ••

وخارج المنزل ، كان الشارع بكل ما فيه من مظاهر : العربات التى تجرها الخيول الكبيرة ، وهى تضرب الأرض بحوافرها القوية

وقد زينت بريش زاهي اللون ، والسيارات العامة ، وعمال الطريق ، ونوافذ المحلات التي تعرض لعب الأطفال وقد تجمع حولها الأطفال من بنين وبنات . وخلف الشارع كانت هناك حديقة كبيرة تمتلىء بأطفال يمتازون حيوية ونشاطا ، يمضون وقتهم في الجرى هنا وهناك وفي اللعب والصياح ومصاحبة الكلاب الضالة ، وبعد ذلك يعودون الى أمهاتهم اللائى يجلسن في انتظارهم ، وما يلبثون أن يعودوا الى لعبهم ومرحهم مرة أخرى فيجرون هنا وهناك مقلدين حركات الخيول حينا أو القاطرة البخارية حينما تطلق العنان لصفارتها حينا آخر .. وهكذا كان الطابق العلوى والطابق السفلى والشارع والحديقة هي الأماكن الجميلة التي كان ألبرت يقضي فيها معظم وقته وكلما احس بالكآبة كان يلجأ الى صدر أمه المعطر الحنون فيشكى لها آلامه فتحيطه بذراعيها الرقيقتين وتربت على ظهره بلطف حتى ينسى في النهاية كل أحزانه . وسرعان ما وجد ألبرت مكانا خامسا يقضي فيه الكثير من وقته ، فقد حان وقت التحاقه بالمدرسة حيث أشرفت عليه آنسة رقيقة تدعى « مس فارو » ، ذات الابتسامة الجميلة والتي كانت في بعض المناسبات تضطر الى استعمال العصا مع بعض الأطفال غير المهذبين . وكان الجميع يخشون تلك العصا أكثر مما يخشون أى صفعة يمكن أن يتعرضوا لها من أمهاتهم .

ولما كان أمل أجاثا هو أن ترى ابنها ضابطا بالبحرية فقد أولت هذا الأمر جل اهتمامها منذ بدأ طفلها يشب ، غير أن محاميها مستر دين لم يكن ليقدر هذا الأمل ، وأصابته الحيرة أمام طلباتها المتكررة بأن يتأكد لها من شروط الالتحاق بالبحرية ومصاريفها وما الى ذلك من آمال كبار ، فجازف ذات مرة وقال أنها اذا ما أصرت على قرارها بالحاقه البحرية فعليها أن تحتسبه من المفقودين بالنسبة لها منذ الثانية عشرة من عمره .

وذكرت أجاثا لمحاميها وعلى وجهها دلالات العزم والتصميم انها تدرك ذلك قبلا ، فقد كانت أجاثا تؤمن بأن التضحية الذاتية هي الواجب الأول للانسانية ، وأن الانسان ـ أو المرأة بشكل خاص ـ

اقد خلق لبتحمل المتاعب ، واحست بان تضحيتها بولدها هو أمر طبيعي وسليم خاصة وان كان في ذلك فائدة لاسطول بلدهما ، ورأت أن تقديسها للوطن وللبحرية انما هو جزء من تقديسها لله .

وتنهد مستر دين بنفاد صبر ، غير مصدق لها ، فقد نشأ في بيئة لم يكن للمرأة فيها اى راى وما كانت المرأة فى عصره لتحلم بأية مخالفة لأوامر الرجل .. غير أنه وجد فى اصرارها فرصة لاستنزاف مالها شيئا فشيئا ، وقد ظهرت فيما بعد الصحيفة المرة عن مستر دين الذى ظهر انه يحيا حياتين مختلفتين احداهما مع زوجته ، والثانية مع احدى بنات الهوى ، وقد أدى هذا الى تورطه المادى تورطا أدى به الى التفكير فى الانتحار غير أنه عزف عن الفكرة ، وجمع مايمكن جمعه من أموال زبائنه وفر مع صديقته الى مدينة « كالو » ، وبهذا فقدت أجاثا نصيبا كبيرا من اموالها اذ لم يترك لها ذلك الأفاق مستر دين سوى النذر اليسير .. وأصبحت أعمال التطريز التى كانت تقوم بها لمجرد شغل فراغها أمرا ضروريا لاكتساب قوتها . وشعرت بأن آمالها فى الحاق البرت بالبحرية قد خابت .. غير أنها وجدت أنه يمكنه أن يبدأ حياته فيها كبحار عادى وليس كضابط كما راودها الأمل ، فظلت تعد العدة لذلك ، واحتفظت فى البنك بالمبلغ الذى ادخرته وقدره مائتا جنيه ، وانصرفت الى عملها بهمة وحماسة كى تكسب قوتها وقوت ولدها ، وكى تهيىء لألبرت السبيل القويم للالتحاق بالبحرية .

## الفصل الثالث

حينما وضعت أجاثا طفلها ظهرت عليها فجأة بشائر تفتح جميل أكسبتها نضرة رائعة لم تكن لها وهى فى مقتبل عمرها ، فكأنما هى بذلك وردة تفتحت فى فصل الخريف .. فقد استدار جسدها ، واكتسب وجهها الذى زاد لحمه اكتنازا ملامح جميلة واضحة ، وأصبحت مشيتها تنم عن كبرياء واعتزاز كبير بالنفس .. لقد كانت أجاثا أما مثيرة للاعجاب ولذا فلم يكن غريبا أن يتأثر بها البرت تأثرا عظيما وألا يحاول ابدا أن يخالف آراءها ..

وربما كان لهذا السبب أيضا وقع مستر جولد فى حبها من أول نظرة . ومستر جولد هذا ( ويعنى اسمه الرجل الذهبى ) رجل رقيق ينطبق اسمه عليه تماما ، فهو ذهبى الشعر ، ذو نظارة ذهبية ، وتتدلى على صدره سلسلة ذهبية طويلة ، مثبتة فى آخرها ميدالية ذهبية ايضا . وكان المستر جولد انيقا فى ملبسه دقيقا فى حركاته ، وبصرف النظر عن ذقنه الصغيرة وضعف الشخصية الذى يمكن للمرء أن يلمحه على وجهه من أول وهلة فقد كان مستر جولد يبدو للغاية رجلا بسيطا وأنيقا فى ذات الوقت . وكان مستر جولد مدرسا بالمدرسة الابتدائية التى يتعلم بها البرت . وكان يظهر ضعفا كبيرا فى شخصيته خلال وجوده بداخل حجرة الدراسة فيحاول تغطيته عن طريق ضرب التلاميذ أو تخويفهم ، وكان فى بعض الأحيان يرسل بعضهم الى ناظر المدرسة كى يقوم بتهذيبهم مدعيا أنهم ارتكبوا أخطاء أكبر من أن يعالجها بنفسه .

وقد حدث ذات مرة أن تعثر البرت فى فناء اللعب المدرسى فوقع على الأرض وجرحت ذقنه جرحا كبيرا ، فعنى به مستر جولد وغسل له الجرح وطهره ،ثم رافقه الى المنزل خشية أن

يفاجئه الألم في الطريق ، ولكى يشرح لأمه أن تلك البقع الدموية الموجودة على قميصه وياقته ليست من جراء خطئه هو .. ووصلا الى المنزل قرب الظهيرة حيث كانت المائدة معدة لتناول الشاى ، وكان طبيعيا أن تدعو أجاثا مستر جولد لتناول الشاى معهما . وكانت فرصة طيبة له تمكن فيها من ملاحظة ملامحها الرقيقة وجسدها الممتلىء ملاحظة دقيقة .

وما ان تلاشت عن ألبرت الصغير هيبة وجود مدرسه في البيت لأول مره حتى انسل خارجا ، لكن مستر جولد ظل جالسا لبعض الوقت . وتجاذب مع أجاثا أطراف حديث ودى ، ثم استأذن في الانصراف ، بعد أن استسمح من أجاثا الحضور مرة ثانية . وحينما ودعته على باب شقتها راودها الشعور بأنه رجل خيالى حالم ، لكنها تساءلت عما يمكن ان يكون أثر زواجها منه على الأمنية التى تكن لها اعزازا عظيما والتى تتعلق بألبرت ، وقررت في النهاية أنه سيكون أثرا طيبا .. أما عن مستر جولد نفسه فقد خرج من المنزل الى الشوارع وعقله مليء بالرؤى الجميلة . ورغم انه لم يكن من عادته الاهتمام بدقائق جسم المرأة الا انه وجد نفسه مستغرقا في ذلك هذا المساء .

وأغرقته صورة أجاثا في بحر من الخيال .. وفي صباح اليوم التالى بالغ مستر جولد في المعاملة الطيبة التى عامل بها ألبرت حتى أن كل زملائه الصغار تحولوا الى مرافقته واللعب معه .

لكن لحظة واحدة كانت كفيلة بتحطيم كل آمال مستر جولد ، وكان ذلك في زيارته الرابعة والأخيرة لأجاثا ، حيث جلس هو على مقعد ذى ذراعين بجوار المدفأة أما أجاثا فقد جلست أمامه على مقعد صغير ، وانشغلت في التطريز .. وكان يحس بالزهو والخيلاء وهو ممسك بكوب الشاى وقطعة من الخبز المحمر المدهون بالزبد وأجاثا تجلس أمامه جلسة ساحرة راقت له . وراق له أيضا تلاعب الضوء المنبعث من المدفأة على رأسها ورقبتها البضة المستديرة . وصور له خياله أن النعيم كله يكمن في أجاثا وبعض المال ، ربة منزل

مدبرة ، وزوجة ذات جسد أبيض جميل . ولم يستطع مقاومة تلك الصورة التى زينها له خياله .. وتململ فى مقعده ، فبعد قليل سيعرض عليها الزواج ويتذوق حلاوة شفتيها الدقيقتين .

أما أجاثا فكانت بدورها غارقة فى التفكير وهى منهمكة فى التطريز فى الرجل الذى أمامها وراودت خيالها بعض الصور الشاحبة عما ستكون عليه حياتها مع مستر جولد غير أنها توقفت عن التطريز فجأة وقد خرقت أذنيها الكلمات الأخيرة لمستر جولد الذى كان يقول :

ـ ... وكل تلك الأموال التى ننفقها على أشياء لا يرجى منها نفعا ، اننى لا أومن بذلك مطلقا ، وذلك المبلغ الذى يصل الى شلن ونصف شلن الذى يستقطعونه كضريبة للدخل لسوف يتسبب فى ثورة كبيرة . انظرى الى الأموال التى ننفقها على الجيش والأسطول ، انها تبلغ ملايين الجنيهات . وما هى تلك البحرية الجريئة التى يتحدثون عنها ، اننى ما أراها سوى مضيعة للمال ، فما حاجتنا الى أسطول ؟ وأى دولة تلك التى ستفكر فى الهجوم علينا وأى فائدة ستجنيها من هذا ؟ ان البحرية لا تنفع أحدا .. اللهم الا من يحصل على وظيفة كبيرة بها .. لقد أخطأنا باشتراكنا فى هذه الحرب . واننى دائما ما أعبر عن رأيى هذا .. اننى رجل مسالم .. اننى ...

ولم يتوقف مستر جولد عن الحديث الا حينما لمح على وجه أجاثا نظرة تنم عن الضيق والاضطراب فنهض من مقعده وقال لها :

ـ يا الهى .. ماذا بك يا مسز براون ، ماذا حدث ؟ ألست بخير ؟ .

وقالت أجاثا وهى تشيح بوجهها عنه :

ـ لا .. لا ..

لقد أفزعتها تلك الأباطيل التى سمعتها منه .. هذا هو مستر .

جولد الذى اعتقدت بأنها تحبه .. أنه ينادى بالتخلى عن الحرب في سبيل الوطن ويسخر ببحرية بلاده ..

لقد أفزعتها كلماته تماما .. وفكرت مرة ثانية فيم يمكن أن يكون أثر زواجها منه على مستقبل البرت . ولم يدر مستر جولد انه وجه اليها بما تفوه به أكبر اساءة يمكن أن توجه اليها وقالت :

ـ لا .. انني على خير ما يرام ..

ـ ارجوك يا مسز براون .. ماذا هنالك ؟

ـ أعتقد .. أعتقد أن الوقت حان لرحيلك ..

ولم يفهم مستر جولد المسكين شيئا وقال :

ـ ولكنى يا مسز براون ..

وكان كل ما فعلته أجاثا هو أن عبرت الحجرة ففتحت بابها ولم يكن المستر جولد من قوة الشخصية بحيث يرفض ما قصدته أجاثا بفعل هذا ، فخرج خافض الراس وصفقت أجاثا الباب خلفه .. وليلتها قالت لمسز روجرز :

ـ استمعى الى يا مسز روجرز ، اذا حضر ذلك الرجل مرة ثانية فأخبريه بأننى لست هنا .. أتفهمين ؟ .

## الفصل الرابع

ومرت السنون واحدة تلو الأخرى تحمل كل منها من الهموم والأحزان أكثر مما سبقتها ، فقد تدهورت قيمة ما تكســـبه من أعمالها فى الحياكة والتطريز نتيجة لانخفاض معدل الولادة ومعدل الزواج بالاضافة الى أن البســـاطة أصبحت الطابع المميز لملابس العصر .. أما المحلات التى كانت تشترى انتاجها فقد كبرت أو اندمجت فى محلات اخرى ولم تعد أجاثا قادرة على الايفاء بمهمة امدادها بما تتطلبه من انتاج .. وزاد التنافس وقل المال فى أوائل هذا القرن عما كان عليه فى نهاية القرن الماضى . وانخفضت مكاسب أجاثا حتى أنها كانت تضطر فى بعض الأحيان الى سحب بعض مدخراتها كى تسدد قائمة حساب مسز روجرز الأسبوعية .

غير أن كل مشاكلها لم تتركز فى قلة العمل وانخفاض الدخل فقد أصابها الألم الجسمانى ، وكان الألم الذى ينتابها بسيطا فى بعض الأحيان حتى أنها كانت تتغاضى عن الاهتمام بمعالجته . لكنه فى أحيان أخرى كان يفاجئها فى صورة حادة قوية . وقد بدأت هذه الآلام تصيبها حينما كان ألبرت فى الحادية عشر من عمره .. وحاولت تقبل تلك الآلام بالروح التى كانت تقبل بها كل صفعات القدر بحجة أن الألم شىء طبيعى بالنسبة للمرأة عليها أن تتحمله طيلة حياتها . وزحفت آثار الألم على وجهها فانمحت نظراتها الصافية وتلاشت ابتسامتها وضمر خداها ، وظهرت التجاعيد بين حاجبيها نتيجة لما تعانيه من آلام مفاجئة فتظل عاقدة حاجبيها لفترة طويلة .

أما ألبرت الذى كان قد تحـــول من المدرســـة الابتدائية الى المدرسة الثانوية فقد الهاه هذا التحول عما طرأ على أمه من تغيير كما أن أجاثا كانت تحاول دائما اخفاء ما يلم بها عنه فتلقاه دائما بابتسامة حارة كلمـــا عاد الى المنزل ، وبذلك لم يلاحظ أى نوبة

من النوبات العديدة التى كانت تفاجئها فترمى بها فى حالة من الشرود أو تجعلها تستميت من الألم وهى تقبض بيديها على ذراعى مقعدها ..

ولكن حل فى النهاية وقت لم تعد أجاثا تتحمل فيه عذاب آلامها أو تعتبر تلك الآلام آلاما طبيعية لسيدة فى الثالثة والأربعين من عمرها .. وللمرة الثانية في حياتها استسلمت لفحص الطبيب والتر الدقيق ذلك الطبيب الذى أشرف على ولادتها .. وللمرة الثانية سمعت تقريره ، لكنه كان فى هذه المرة تقريرا مختلفا ، فقد عبر لها عنه فى حزن وأسف وليس فى سعادة وأمل كما حدث فى المرة الأولى .. ولكن أجاثا أحست بأن كل مايقوله الطبيب ليس جديدا عليها ، فكل ماهنالك انها كانت تشعر بالمرض لكنها لم تكن تريد الاعتراف به . وأحس الطبيب بالألم يعصر قلبه من الشفقة عليها وهو يخبرها بما ألم بها من مرض ، وبضرورة اجراء عملية جراحية ، وأشاح بوجهه عنها وهو يحاول أن يخفى من صوته اى أثر يمكن أن ينم عنه معرفته مقدما لنتيجة هذه العملية .

وعلى هذا فقد عاد ألبرت من مدرسته ليجد عالما مختلفا تقوم فيه مسز روجرز بدور أمه التى اختفت من المنزل لتحتل مكانها فى المستشفى حيث تمكن منها المرض تماما ، فكان ألبرت يذهب الى مدرسته فى حالة عميقة من الحزن وأصبح يقضى أيام عطلاته فى رحلات قصيرة الى المستشفى حيث يمضى دقائق قليلةمشحونة بالقلق على مقعد بجوار سرير أمه . وفى عصر ذات يوم أخرجت ذراعها المرتعشة من تحت ملاءة السرير ومدتها الى البرت وهى تقول له :

ـ أتذكر ياألبرت ماقلناه عن البحرية ؟ أتعلم أنه يجب عليك الالتحاق بالبحرية ؟

وقال ألبرت :

ـ بالطبع ياأمى بالطبع ..

فقد كان ذلك أمرا متفقا عليه بينهما لسنوات طويلة ولكنها عادت لتقول له :

ـ عدني اذن ياولدي ...

وكانت عيناها واسعتين بالنسبة لوجهها الضامر ، وحملقت في ألبرت بطريقة بثت الخوف في قلبه ، فقال لها :

ـ بالطبع ياأمي لسوف ألتحق بالبحرية دون شك ..

وارتسم الاقتنـــاع على وجه أجاثا مما بعث الراحة في قلب ألبرت .

ولما أجريت لها العملية الجراحية توقع بعض الأطباء في البداية أنها قد تستعيد صحتها لكن سرعان ماتلاشى هذا الأمل حينما فاضت روحها بعد أيام من المعاناة ، وانكفأت مسز روجرز على كتف ألبرت وهي تبكي بحرقة .

وحينما انتهت مراسيم الجنازة والدفن شعر ألبرت بأن كابوسا ثقيلا قد أزيح عنه ، وظلت ذكرى هذا الكابوس تراوده لفترة ، لكنه سرعان مانسيه تماما .

## الفصل الخامس

كان البرت براون فى الرابعة عشرة والنصف من عمره حينما توفت امه . ولم يكن بمستطاعه الالتحاق بالبحرية قبل تسعة شهور اخرى ، فترك مدرسته غير آسف عليها وامضى تلك الشهور فى أعمال بسيطة مختلفة ، وحينما اكتمل عمره خمسة عشر عاما وثلاثة أشهر اتجه الى « هوايتهول » كى يقدم أوراقه للالتحاق بالبحرية فرحب به المسئولون أيما ترحيب ، فهذا النوع من الشباب هو ماتحتاجه البحرية ، اذ أنهم وجدوا البرت يتيما ، ليس له من صلة قرابة بأحد فى هذا العالم ، كما أنه لم يكن بالشاب الضعيف البنية بل كان شابا قوى البنيان صحيح البدن ، وهو أيضا قد نال قسطا من التعليم ، فقد امضى نحو ثلاث سنوات بالمدرسة الثانوية ، كما انه خبر الحياة العملية لمدة تسعة شهور ، ولديه شهادات حسن سير وسلوك من كل مكان عمل به تشهد بما كان عليه من خلق حسن وسير حميد . ولم يكن له وصى شرعى ، فقد كان البرت يرفض باباء ادعاء مسز روجرز بأنها الوصية الشرعية عليه .

وعلى اى حال فبعد التحاقه بالبحرية بنحو ستة شهور أصبح البرت شابا مرموقا فى « ثكنات شوتلى » ورغم أنه لم يكن ذا عقل نابه أو شخصية متميزة الا أن ثكنات شوتلى كانت نادرا ماتستقبل من درسوا فى المدارس الثانوية مبادىء علم الميكانيكا وحساب المثلثات .. وساعدته معرفته القليلة بالرياضيات على التفوق على اقرانه فى المواد البحرية التى كانوا يتلقونها فى بداية التحاقهم بالبحرية . وتقدم البرت خلال فترة دراسته الأولى بعزيمة لاتلين فتدرب على حمل السلاح والعوم واطلاق النار ثم تلقى فنون البحرية وتدرب عليها ، وانتقل من الكتيبة الثانية الى الكتيبة الأولى ثم ترك تلك واصبح بحارا على السفينة « شريبدس » وهى من سفن الدرجة

الثالثة ، وقد تحركت فى اواخر سنة ١٩١٢ من ميناء « بورتموث» وهى تحمل العلم البريطانى لتقوم بجـولة عامة فى ميـــاه بلدان الشرق .

ومع بداية الحـــرب العالمية الأولى كانت « شريبدس » فى سنغافورة وقد عم السرور ملاحيها جميعا اذ ساد الاعتقاد بأن جهود ألمانيا البحرية العظيمة سوف تتمخض عن الحرب بينها وبين انجلترا وكان البحار الانجليزى فى ذلك الوقت قد نسى بمرور الأعــوام العداء بين بلده وبين فرنسا ، ذلك العداء الذى استمر قروناطويلة وأصبح يتوقع بفارغ صبر حدوث أية معركة فى البحر الشمالى، فقد أعد العدة لمثل هذه المعركة وسحب معظم قواته من البحــر الابيض المتوسط ومن المحيط الهادى حتى اصبحت المياه الشرقية لاتحتوى الا على بعض القوات الانجليزية الصغيرة فى الوقت الذى كانت البحرية فيه فى أوج عظمتها . وفى احدى ليالى الصــيف حينما تحرك الأسطول الأول متجها صوب الشمال ناحية قاعدته العسكرية فى « سكابا » حمل الأثير أخباره الى مختلف الوحـدات البحرية البريطانية المنتشرة فى المحيط الهادى .

وكان الوضع، بطبيعة الحال ، مثيرا للقلق، فقد اختفى أثر القبطان الألمانى « فون سبى » فى مجاهل المحيط مع أنه تمكن بمهـــــارة من التخلص من معركته فى موقعة « تسينج تاو » قبل أن يشـتعل أوار الحرب فى كل مكان ، ثم اختفى بعد ذلك تماما ولم يعد بمستطاع أحد أن يخمن أين سيظهر مرة ثانية أو أين ستكون ضربته التالية.

وكانت سفينتاه الحربيتان « جنايزناو و شارنهورست » من السفن التى حققت أعظم الانتصارات فى الأسطول الألمانى ، وكان مغزى هذا واضحا بالنسبة لكل من يفهمون الانتصــــارات التى حققتها المدفعية البحرية الالمانية . وكان تحت قيادة « فون سبى » أيضا بعض السفن الصغيرة غير أنه لم يكن مؤكدا ما اذا كان المزيد من هذه السفن قد لحق به بعد مغادرته « تسينج تاو » لكن كان من المعروف أن «موللر» قبطان السفينة « ايمدن » و «فون لوتز» قبطان

السفينة ـ تسيثن ـ كان بامكانهما الارتباط به ان هما رغبا فى ذلك .. وكان واضحا أن « فون سبى » تقع تحت امرته فرق بحرية سريعة الحركة ذات ضربات قاصمة لايمكن للاسطول الانجليزى مجابهتها بسهولة الا باستخدام البوارج الحربية الكبرى .. ولم يدر أحد أين يظهر « فون سبى » مرة ثانية بعد اختفائه فى مجاهل المحيط بعد موقعة « تسينج تاو » أو أين ستكون ضربته التالية .

ولم يحمل بحارة السفينة «شريبدس» هما فقد كانوا يثقون ثقة بالغة فى ضباطهم الذين ملكوا من القوة ما يمكنهم من مجابهة « فون سبى » .. وكان كل رجل على السفينة يرحب بأية فرصة للاشتباك مع سفينته « شارنهورست » أو « جنايزناو » بمدافعهما القاتلة ذات العيار مقاس الثمانى بوصات .. وتوقعوا لأنفسهم نصرا عظيما .

أما البحار الأول البرت براون ـ والذى حصل على هذه الرتبة بعد عامين أمضاهما كبحار عادى ـ فقد كان على علم كامل بالحقائق والاحتمالات ، فكان يدرك كما يدرك الآخرون أنهم سيتعرضون لهجوم « فون سبى » بين حين وآخر ، لكنه كان يدرك ما فى ذلك من مخاطر اذ ليس بوسع السفينة « شريبدس » أن تنجح فى أى معركة ضد أية فرقة من فرق « فون سبى » الكثيرة كما أنها لا تملك السرعة الكافية للفرار من أى خطر .. فان أيا من البارجتين الحربيتين الكبيرتين « شانهورست » أو « جنايزناو » بامكانها العصف بها من فوق المياه فى لحظة واحدة .. أما السفينة « تسيثن » ، وهى الأخرى سفينة حربية لكنها أصغر من البارجتين الأخرتين ، فلن تجد صعوبة فى الاطاحة بها .. بل ان « براون » كان على يقين من الخطورة البالغة التى يحملها أى اشتباك مع أى سفينة المانية صغيرة كسفينة « ايمدن » أو « درسدن » التى كانت تحمل مدافع صغيرة لكنها تمتاز بحداثتها .. لكن براون كان يحمل بين جنبيه قلبا شجاعا حتى أنه مع ادراكه للخطر المحدق بهم ، لم

يجفل من الخـــوف ولو حتى فى دخيلة نفســـه ، فان واتاه الموت فذلك حق لوطنه عليه وان لم يمت فسيكون نصيبه الترقية بعد انتهاء الحرب فهو الآن بحار اول وهو لم يتعد بعد العشرين من عمره .

وحينما انتشرت فوق المحيط الهادى البرقيات اللاسلكية تطلب من الوحدات البريطانية الاتجاه ناحية الشرق شقت الســـفينة « شريبدس » طريقها الى هناك ، تاركة سنغافورة .. وكانت تلك هى البوادر الأولى للحرب قبل أن تتحول اليابان ضد المانيا وتبعث بأسطولها شرقا خلف « فون سبى » .. وشقت شريبدس طريقهـــا خلال بحر الصين ومنه الى جزر « الكارولين » وجزر « مارشال » ، وكانت هذه الجزر من الممتلكات الألمانية ، وكان من المحتمل جدا العثور على « فون سبى » بها لكن المساحة الشاسعة التى كانت تحتلها هذه الجزر كانت كفيلة بأن تجعل فرقة صغيرة تضـــل طريقها خلالها . ولم يستطع قادة شريبدس أن يحددوا المكان الذى قد يكون « فون سبى » مختبئا به ورغم أن البحرية الاستراليـــة كانت تحرس الشواطىء الجنوبية وكان الاسطول اليابانى يكتسح الشواطىء الشمالية الا أن ذلك كان يمثل حصـــارا مفككا حول « فون سبى » الذى كان بمقدوره التسلل والهرب اذا شاء ذلك .. وقد ترددت الأنباء حينئذ أن « مولير » قبطان سفينة « ايمدن » قد هرب بسفينته وساد الاعتقـــاد بأنه قد شق طريقه الى المحيط الهندى حيث يجد هناك مجالا متسعا لاغتصاب السفن التجارية وتحطيمها واغراقها وأسر بحارتهـــا .. لكن ذلك لم يكن يعنى أن « فون سبى » قد سار فى ذات الاتجاه ، فقد كان واضحا انه انفصل عن هذه السفينة وتحرك فى اتجاه جـــديد ربما كان عبر المحيط رأسا .. وأصبح تحديد مكانه امرا ضروريا ، فلربما يتمكن من عبور « قناة بنما » الى جزر الهند الغربية ثم يعبر المحيط الأطلنطى فى محاولة جريئة للوصول الى بلاده . وجاءت الأوامر عبر اللاسلكى تطلب من السفينة « شريبدس » أن تشق طريقهـــا عبر المحيط الهادى ثم تتجه يمينا صوب أحد مراكز الفحم السرية

وتواصل مسيرها من هناك تجاه « بنما » بحثا عن « فون سبى » كى تعلن وجوده على الملأ اجمعين .

وشاءت المصادفة المحضة وحدها أن تلتقى فى تلك البحار الشاسعة المنعزلة سفينة بأخرى .. فبينما كان « فون سبى » يشق طريقه خلال سواحل أمريكا الجنوبية أصدر أوامره للسفينة « تسيشن » التى يقودها « فون لوتز » بالاتجاه صوب الشواطىء الاسترالية ، ونفذت تسيشن الأوامر ، وعلى بعد ألف ميل داخل البحر التقت بالسفينة « شريبدس » .

وكان أول ما ظهر للسفينة «شريبدس» مجرد غلالات من الدخان الأسود تغلف الشفق فشقت طريقها صوبها .. وسرعان ما اتضحت مداخنها الثلاث ، وحملق قائد «شريبدس» خلال منظاره بقلق مدققا فى صورة السفينة وهى تتراءى أمام عينيه ، وصاح قائلا :

ـ انها « تسيشن » فأين الأخريات ؟ .

وظلت السفينتان فى اتجاهين مختلفين ، تحاول كل منهما التأكد مما اذا كانت الأخرى وحيدة .. لكن الأفق البعيد لم يظهر أية آثار لغلالات أخرى من الدخان .. لم يكن هناك اذن سوى هاتين السفينتين على تلك المساحة الشاسعة من المياه .. وتساءل قبطان شريبدس مع نفسه وهو يعرف الاجابة تماما :

ـ انحارب أو نهرب ؟ .

الهرب ، كلا .. لا ينبغى له الهرب ، حتى ولو لم يتمكن من محاربة تسيشن فعليه أن يناورها ويجعلها دائما فى مجال رؤيته حتى تصل سفينة أخرى قادرة على محاربتها .. ولكن مناورة سفينة أكثر قوة على بعد آلاف الأميال فى بحر ملىء بالمخاطر كانت أمرا لا تؤمن عواقبه . وفى الوقت الذى كان القبطان يفكر فيه فى الأمر بهذه الطريقة . كانت تلك الأفكار ذاتها تراود البحار الأول البرت براون الذى كان يعمل على المدفع رقم ٢ ذى العيار مقاس ٧ر٤ بوصة ... على القبطان اذن أن يحارب حقا ان مدافع العدو من ذات العيار ٩ر٥ بوصة ، وحقا ان سفينة العدو حمولتها ثمانية ألف طن وحمولة سفينته اربعة آلاف طن فقط ، ولكن الحظ قد

يساعدهم ، فأى معركة بحرية تعد دائما مسألة حظ .. وعلى أسوأ الفروض فقد يحدث فى تسيشن خسائر جسيمة قبل أن تغرق سفينته .. واصابة تسيشن بخسائر جسيمة تعنى تحطيمها نهائيا اذ أنها لن تجد مكانا ملائما لترميم ما أصابها .

كانت « غرفة العمليات » قد تأهبت للعمل وتصاعد البخار من الخزانات وتعالت ضربات المحركات اذ أسرعت السفينتان كل فى تجاه الأخرى .. ووضع القبطان منظاره على عينيه مرة ثانية وأصدر أمره بأن تنطلق السفينة بأقصى سرعتها .

وكان القبطان يبذل كل ما فى وسعه للاقتراب من السفينة الأخرى حتى يتمكن من اطلاق النار عليها اذا ما بدأت هى بذلك . وفى الوقت الذى انطلقت فيه شريبدس قدما كان رجال اللاسلكى يبعثون باشاراتهم هنا وهناك وهم يصفون الاشتباك محددين المكان بخطوط الطول وخطوط العرض ، محاولين بذلك تعريف الاسطول البريطانى بالمكان الذى وجدت فيه السفينة الالمانية تسيشن .

أما تلك السفينة فكانت تحاول دون جدوى ارسال أية اشارات لزميلاتها فى المحيط لكنها كانت على بعد آلاف الأميال منها وكان الجو متقلبا .

لكن تسيشن ، رغم هذا ، كانت على استعداد لمقابلة مناورات شريبدس فقد كان القبطان لوتز يفهم تماما أهمية تفوق مدافعه على مدافع السفينة الأخرى ... وأصدر هو الآخر أوامره بأن تشق السفينة طريقها بأقصى سرعة تجاه شريبدس . وعلى هذه السفينة كان ضابط المدفعية يصيح بصوت خشن فى زميله الذى يقدر المسافة بين السفينتين قائلا :

ــ أما زلنا خارج نطاق دائرة اطلاق النار ؟ .. عليهم اللعنة !

وظهرت فجأة غلالات من الضباب حول السفينة تسيشن ، وعلى حين غرة ارتفعت على سطح الماء ، على مسافة مبعدة مائة ياردة من مقدمة شريبدس ، أعمدة من المياه نتيجة لبعض طلقات أطلقتها مدفعية السفينة الأخرى .

والجمت الدهشة ضابط المدفعية فلم يكن يتوقع أن تكون طلقات التجربة التى تجربها السفينة الأخرى بمثل هذه الدقة .. وحاولت شريبدس أن تزيد من اقترابها من تسيئن ، لكن تلك أطلقت مدافعها مرة ثانية فوصلت طلقاتها على مبعدة مائة ياردة من قطر شريبدس التي تعالى الماء فوق سطحها ، ولم تمض ثوانى قليلة حتى كانت طلقات تسيثن الحقيقية قد وصلت الى شريبدس وصاح ضـــــابط المدفعية :

ـ يا الهى ، لقد حوصرنا !

ثم لا يملك أن يبدى اعجابه ببراعة منافسه القدير فى التصويب قائلا :

ـ يا له من تصويب رائع .. اللعنة .

وتوالت الطلقات صوب شريبدس فأغرقت سطحها بالماء ، وفى المرة التالية سقطت ست قنابل على سطح السفينة فأطاحت بضابط المدفعية وضابط المراقبة ، وكاد الدخان يخنق كل من عليها ، وتوالى هطول القنابل فوق شريبدس بين لحظة وأخرى حتى حطمتها تحطيما .. لقد كان جنود المدفعية الألمانية يطلقون نيرانهم على السفينـة البريطانية مدرعين بخبرة سنين طويلة من المران المنظم فأمطروها بوابل من القنابل فلم يتوقفوا لحظة حتى كى يشاهدوا ما أحدثوا بها من دمار .

وتهاوت « شريبدس » تحت ذلك الوابل من القنابل وتعـالى منها الدخان لكن محركاتها كانت لا تزال تعمل فتجعلها محتفظـة بسرعتها الأولى . وكان القبطان قد هبط الى قاع السفينة وقد أصابته شظية قاتلة ، وتولى قائد السفينة دفة الأمور . وتنـــاثر القتلى من الرجال وهم يحملون بنادقهم بينما حمل العمال الجرحى من الرجال متجهين بهم الى قاع السفينة حيث يقـــوم الطبيب باسعافهم فى جو معتم .

ومع كل هذا فقد ساعد العزم والتصــــميم على أن تحقق

شريبدس فى النهاية نصرا يليق بها ، فقبل أن تغرق تماما كانت بعض قنابلها قد أصابت تسيثن ، وتسببت فى قتل بعض من عليها.

لكن شريبدس كانت قد تحطمت تماما رغم أن محركاتها كانت لا تزال تدفعها الى الأمام بأقصى سرعة ، فقد تحطم جانبها عن آخره وغمرتها النيران من كل جانب وفى كل مرة كانت تطلق فيها قنبلة على السفينة تسيثن ، كانت تلك ترد لها الصاع صاعين فتطلق عليها بالخمس قنابل فى المرة الواحدة ، عن تصويب بارع وتقدير دقيق للمسافات .. وجاءت نهايتها عن طريق خزان للوقود اشتعلت فيه النيران فانفجر انفجارا رهيبا حولها الى ركام ، ومن لم يمت اثر الانفجار تلقفته النيران والامواج المهتاجة .. ورغم انفجار الخزانات ورغم انهيار السفينة تماما وتلاشى بقاياها فى أعماق المحيط فقد ضربت تسيثن آخر ضرباتها وسط كل ذلك الحطام ، وفى نصف دقيقة تحولت شريبدس من أمر واقع الى لا شىء .. ومن سفينة محاربة الى قطع من الحديد تغوص فى مياه المحيط الهادىء الى الأعماق اللانهائية المظلمة .. ولم تخلف سوى كميات كبيرة من الزيت وتراب الفحم لطخت زرقة المحيط الصافية ، ووسط كل ذلك طفا بعض الحطام البشرى وغير البشرى ، وممن لقوا حتفهم وممن لا يزالون على قيد الحياة ، لكنهم كانوا جميعا فى حكم الموتى ..

## « الفصل السادس »

لم يكن ما فعله براون فى المعركة الحربية بين شريبدس وتسيشن هو ما يستحق التسجيل فقد كان براون واحدا من كثيرين ، ومهما كان قد فعل فان الفضل لا يرجع اليه ولكن الى البحرية ككل ، فهى الهيئة التى علمتهم ودربتهم .. ولو كان براون قد واصل اطلاق النار من مدفعه ذى العيار ٤ر٧ بوصة دون اى توجيه من رئاسة عليا فذلك لأنه تعلم أن يستمر فى اطلاق النار تحت أية ظروف ، والفضل فى ذلك أيضا لا يرجع اليه ولكن الى كبار القادة البحريين فى العصور السالفة الذين وضعوا هذه القواعد .

لقد كان براون حقا رجلا شجاعا ولم يتخل عن مركزه فى الدفاع ، لكن كثيرا من الرجال ممن هم أقل منه شجاعة كان بامكانهم أن يفعلوا ما فعله لو ألمت بهم الظروف التى ألمت به .. الا أن ما حققه براون نفسه من مجد وبطولة كان على ظهر جزيرة «رزليوشن» حتى أصبح له الفضل الأول فى تحطيم السفينة الألمانية تسيشن ، فقد عمل براون على هذه الجزيرة دون أوامر من أحد ، ولكن بدافع من ذاته فقط ، وتحت ظروف لم يكن ليجدى التعليم أو التدريب فيها نفعا .

لكن هذا على أية حال أمر سابق لأوانه ، اذ لم يدرك احد من البحارة الألمان وقتها ، والذين نزلوا الى الماء بقواربهم كى يأسروا من بقى على قيد الحياة من بحارة شريبدس ، لم يدرك أحد أنهم سرعان ما سيلقون الموت من خلال جسد براون الضعيف المرتعش فقد كان جسده يرتعد بشدة بعد أن أطاح به الانفجار الذى أحدثه خزان الوقود ، فى الماء ، وتمكن من التعلق باحدى الكتل الخشبية التى ساقتها اليه العناية الالهية فى اللحظة التى غرقت فيهـا

شريبدس .. والتقطه البحارة فوضعوه على أرض القارب عائدين به الى تسيشن حيث ساعدوه على الصعود اليها .

وكان كل ما تمناه براون ساعتها هو أن يهزمه ضعفه ويغط في نوم عميق لكن ظروف الحرب العصيبة لم تكن لتمنحه هـــذه الفرصة الطيبة .. وكان هو الوحيد الذى لا يزال فى وعيه من البحارة الثلاثة الذين ظلوا على قيد الحياة بعد غرق شريبدس وكان على القبطان لوتز الذى يحمل مسئولية تسيشن ومن عليها من مئات البحارة أن يعرف فى الحال كيف أتت شريبدس الى هـــذا المكان ، وما اذا كانت هناك سفن أخرى فى المنطقة تكون قد تلقت برقياتها ، وما اذا كان اللقاء بين السفينتين قد تم عرضا أم انه كان مقصـــودا .

كان القبطان لوتز فى حاجة الى أن يعرف كل معلومات يرجى له منها نفع . وعاملوا براون معاملة طيبة ، فجففوا ملابسه وقدموا له بعض المشروبات وســـــمحوا له بالجلوس على مقعد مريح فى صيدلية السفينة بالقرب من غرفة المرضى ، حيث بدءوا استجوابه

وألقى براون نظرة شاردة على مستجوبيه وهو مكوم فى مقعده وأدرك أن الضابط الملتحى ذا الشريط المحلى بأربع حلقات ذهبيـــة انما هو قبطان السفينة وأن الضابط الشاب الآخر هو ملازم ثان ، وذلك الرجل الذى شمر عن ساعديه هو الطبيب ، وكان منهمكا فى اسعاف البحارة الستة الذين أصابتهم قنابل شريبدس وخـــلفهم جميعا وقف الممرض المختص بغرفة المرضى .

وكانت أسئلة القبطان قوية وصارمة وكان يلقيها بلكنـــــة انجليزية غير واضحة ، ثم ينفجر أحيانا فى زميله الملازم متحدثا باللغة الألمانية ، فيعود هذا الى استجواب براون بلكنة انجليزية أكثر وضوحا من لكنة القبطان .

وأجاب براون اجابات قاطعة وعيناه مغمضتان من التعب ، فذكر أن شريبدس عبرت جزر الكارولين وجزر المارشال متخذة طريقها تجاه الشرق عبر المحيط الهادى .. وذكر أنه لايعلم شيئا عما اذا

كانت هناك سفن انجليزية أخرى فى المنطقة أم لا وانه لم يسمع أى شىء عن التركيز ضد الفرقة الألمانية .. وطلب القبطان من الملازم أن يترجم له ماقاله براون ، ففعل هذا ثم أخبر براون بلهجة صارمة أن الأسير الذى يدلى بمعلومات مزيفة توجه اليه تهمة التجسس ويعرض للاعدام رميا بالرصاص .. وسأله القبطان :

ـ هل توقعت شريبدس ملاقاة تسيشن ؟

ـ لا أعلم .

ـ ماذا كانت وجهتها حينما التقت بتسيشن ؟

ـ لا أعلم .

ـ والآن ، هل يريد بمثل هذه الاجابات أن يعامل معاملة طيبة ..

فأجاب براون :

ـ نعم ..

ـ فليجب اذن على الاسئلة اجابات سليمة .. ماذا كانت وجهة شريبدس ؟

ـ لا أعلم ..

وفى هذه اللحظة تدخل الطبيب فغادر القبطان المكان ساخطا .. وكان براون صادقا حينما ذكر أنه لايعلم شيئا ، لكن كانت لديه نظرة ثاقبة عن مجريات الأمور ، ولو صرح للقبطان « لوتز » بما يدور فى خلده لأزال الكثير من قلقه ومخاوفه ، لكن براون لم يشأ ذلك .. وتحدث الطبيب الى الممرض الذى استدعى زميلا له فحملا براون الى سرير بداخل غرفة المرضى ، ووضعا له زجاجة ساخنة تحت قدميه ، وغط فى نوم عميق كان فى حاجة ماسة اليه ، فى الوقت الذى نكصت فيه تسيشن على عقبيها متخذة طريقها شرقا .

والذى حدث هو أن شريبدس هوت الى قاع المحيط بعد أن أصاب أحد مدافعها تسيشن اصابة بالغة على ارتفاع قدم واحد فى مستوى الماء وعلى مبعدة باردة واحدة من حزامها المسلح،

حيث انفجرت احدى القنابل محدثة ثقبا عظيما تدفقت منه المياه الى داخل السفينة بحيث لم تستطع المضخات المختلفة القيام بعملها على خير وجه ، مما اضطر عمال النظافة الى تغطية هذا الثقب بحصيرة خاصة بحالات التصادم ، بينما قام عمال الوقود باخلاء « العنبر » الذى حدث به الثقب من الفحم الذى كان يعوق المضخات عن القيام بعملها .

وكان هذا يعنى أن تؤجل تسيشن القيام بغارتها التالية ، فليس من قبطان يمكنه المخاطرة بسفينته فى رحلة طويلة وهى فى مثل تلك الحالة ، خاصة وان كان قائد سفينة المانية لايتوقع صديقا على مسافة خمسة آلاف ميل ، وبوجود احتمال دائم لنشوب معركة فى اية لحظة .. أصبح محتما على تسيشن أن تجد مرفأ تلجأ اليه حتى تستطيع اصلاح ما ألم بها من خسائر ودون أى تأخير . وربما يعرضهم الالتجاء الى ميناء محايد للاعتقال ، وتلك هى أسوأ نهاية يمكن أن تنتهى اليها رحلتهم . وحتى لو لم يعتقلوا ، على أحسن الفروض ، فان وجود السفينة فى ذلك الميناء سوف يذاع على العالم ، وستجد قوات العدو فى انتظارها عند خروجها من المياه المحايدة . ولذا فقد كان لزاما عليها أن تجد مكانا منعزلا لايمكن أن تنتشر منه أخبارها ، وتستطيع أن ترمم فيه اجزاءها المحطمة .. وكان فى المحيط الهادى العديد من هذه الأماكن ، وكان أقرب مكان من السفينة هو أفضلها جميعا ، وقد قرر القبطان لوتز الالتجاء اليه دون حتى أن يضع أى اعتبار لقوانين الملاحة وتعليماتها وكان ذلك المكان هو جزيرة رزليوشن ، وهى جزيرة فى أقصى شمال سلسلة الجزر المعروفة باسم جزر جالاباغوس . وشقت السفينة طريقها الى هناك فى الوقت الذى كان براون يغط فيه فى نوم عميق أثر الاجهاد العظيم الذى تعرض له .

ونام براون بقية النهار ومعظم الليل .. واستيقظ قرب الصباح أكثر من مرة على جلبة عظيمة لم يتبين مصدرها .. واستسلم للنوم مرة أخرى لكن حينما حل الصباح واستيقظ تماما ، سمع الجلبة مرة ثانية .. وبدا له أنها صادرة عن الجانب الأيمن من السفينة لكنه

لم يستطع تفسيرها . ونظر حوله .. كان وحيدا رغم وجود سرير فارغ بجانبه . وكانت هناك مروحة كهربائية تبعث بالهواء فى المكان، اذ كانت السفينة حينئذ على خط الاستواء ، وكانت الشمس تبعث بأشعتها الحارقة على ظهر السفينة ، لكن براون كان معتادا على ذلك فقد أمضى سنتين فى المناطق الاستوائية جعلتا من مثل هذه الحرارة المحرقة أمرا طبيعيا بالنسبة اليه .

ولم يكن أمام براون متسع من الوقت للتفكير اذ دخل عليه الممرض الذى كان براون لايزال يذكره منذ اليوم السابق . وتفتح وجهه السمين ذو الملامح الألمانية عن ابتسامة عريضة وهو يرى براون فى حالة طبيعية وقد ثاب الى رشده ، ووضع ميزان الحرارة فى قمه ، وابتسم مرة ثانية وهو يقرأ درجة الحرارة ثم يدونها على البطاقة المعلقة على رأس سرير براون . وتحدث اليه فى لهجة ودية ، وضحك حينما أدرك أن براون لم يفهم كلمة واحدة مما قاله. وهيأ الممرض لبراون كل سبل الراحة كما تفعل أية ممرضة قديرة وربت على كتفيه وهو ينظر اليه نظرة تنم عن الود والصداقة ، ثم تركه وعاد بعد دقائق بصحبة الطبيب الذى قال لبراون فى انجليزية ركيكة وهو يقرأ درجة حرارته على البطاقة الخاصة بذلك :

ـ انك الآن أحسن حالا ، أليس كذلك ؟

ثم تناول رسغ براون بطريقة آلية ونظر الى ساعته وهو يتحسس نبض براون ثم اومأ قائلا :

ـ الا تشعر بأى ألم فى أى مكان من جسمك ؟

فأجاب براون :

ـ كلا ياسيدى ..

ـ اتشعر بأنك على مايرام ؟

ـ نعم ياسيدى ..

ـ يمكنك اذن أن تتناول افطارك .

وتحدث الطبيب الى الممرض الذى اختفى فجأة ، لكنه عاد فى الحال وقد أحضر بعضا من الخبز والزبد والقهوة فالتهمها

براون جميعا • وحينما تركه الطبيب قدم له الممرض حزمة من الملابس النظيفة كانت تحتوى على قميص وسروال وحذاء وجورب ،وقد كانت فى مجموعها تمثل زى البحار الألمانى ، فارتداها براون وهو يشعر ببعض الضيق بسبب الاختلافات البسيطة بينه وبين زى البحار البريطانى . أما الممرض فكان لايزال ينظر اليه وعلى وجهه ابتسامة ودية عريضة .

ومرت فترة الضحى ، ومر قائد السفينة ببراون فألقى عليه نظرة سريعة من عينيه الباردتين الشاردتين دون أن ينبس ببنت شفة ، ثم اقتيد براون مرة ثانية الى حضرة القبطان الذى استجوب براون لكنه كان حريصا على الا يفضى بأية معلومات فكانت اجاباته دائما « لاأعلم ، لا أعلم » . ولما كان من المحتمل الا يكون مجرد بحار أول على سفينة بسيطة على علم بأسرار حربيــة معينة فقد تخلى القبطان عن استجواب براون . وأوشك أن يطلق سراحه ، لكن الملازم أبدى اعتراضه ، وبعد أن تشاوروا معا أصدر قبطان حكمه ، ذلك الحكم الذى حدد مصير براون ومصير السفينة ، لكن أحدا لم يكن ليتنبأ بذلك حينئذ . وقد سمع براون بقرار القبطان فيما بعد حينما عاد الى غرفة المرضى اذ قال له الطبيب:

ـ سوف تساعدنا هنا ..

وحملق فيه براون دون أن يفهم شيئا ، لكن الطبيب راح يشرح له بطريقة أبوية :

ـ ماذا سنفعل بك هنا ؟ أنضعك فى السجن ؟ ان السجن خطر فى هذه المناطق الاستوائية .. فى امكانك اذن البقاء وتساعدنا على العناية بأصدقائك ، ونحن ندرى أنك لن تهرب •

وضحك ملء شدقيه ، وأدرك براون أنه لم يعد سوى سجين فى يد الأعداء ، عاجز عن أن يفعل شيئا .

فهو عاجز عن أية وسيلة يستطيع أن يرد تسيثن عن رحلة الدمار التى تقوم بها ، فعندما سينتهى اصلاحها ستخرج الى المحيط

لكى تغرق السفن البريطانية وتأسر من فيها أسوة بما تقوم بهالسفينة « ايمــدن » ».

وقدر براون الخسائر التى يمكن أن يحدثها غرق السفينة تسيشن بنحو خمسة ملايين جنيه ، وسوف يضطر الى مشـــاهدتها وهى تغرق فى قلب المحيط ، ذلك ان لم يضعه الألمان على ظهر باخـرة محايدة كى تعود به الى وطنه فى الوقت الذى تكمل فيه تسيشن رحلتها المدمرة .. لم يكن بامكانه أن يفعل أى شىء .. وأصابهالعجز واليأس والوحدة بحالة قنوط مروعة لازمته خلال الأيام الثلاثة التى قطعت فيها تسيشن طريقها الى جزيرة رزليوشن .

## الفصل السابع

جزر الجالاباغوس هى سلسلة من الجزر البركانية التى يقطعها خط الاستواء وتقع على بعد مائة ميل من الساحل الأمريكى . وهى جزر مهجورة لاسكان عليها بسبب ندرة المياه ولأنها بعيدة كل البعد عن الطرق التجارية المعروفة . وقد نمت عليها أنواع غريبة من النباتات والحيوانات تكاد تكون خاصة بها . وتعتبر جزيرة رزليوشن أكثر هذه الجزر انعزالا وأقلها زيارة من أحد ، اذ كانت فيما مضى فوهة لبركان انطفأ منذ أكثر من ألف سنة ، ثم جرفها المحيط الهادى من جهة واحدة فبدت كحلقة غير كاملة من القمم الصخرية تتوسطها بحيرة يبلغ طولها نحو ميل واحد ، ويبلغ عمق مدخلها نحو ستين ياردة ، أما وسطها فهو بلا قرار . وعلى سطح الجزيرة انتشرت القمم الصخرية المدببة كأنها السكاكين وعلى سفحها انتشرت مختلف النباتات الشوكية .

وكانت نظرة واحدة من القبطان فون لوتز على المكان كفيلة باقناعه اقناعا تاما بأنه المرفأ الذى ينشده ، فقد كان أشبه بميناء مغلق سوف يصد الرياح على السفينة مما يهيىء السبيل لاصلاحها وشقت السفينة طريقها الى البحيرة بحرص حيث لاتوجد توجيهات بحرية سابقة خاصة بالملاحة الى جزيرة رزليوشن فبعث القبطان بقارب استكشاف تبعته السفينة ببطء . وقد ساعدتها حركة المد فجعلتها ترسو داخل البحيرة فى أمان .. وكان الجو شديد الحرارة ، غير انه لم يكن هناك مناص من احتمال تلك الحرارة فى سبيل اصلاح السفينة . وألقت السفينة مراسيها بجوار

الجزيرة ؟ وقد حـــدث ذلك ببـــراعة فائقة فى الملاحة أدهشت براون .

وما أن رست السفينة حتى انطلق بحارتها الى العمل فى نشاط غريب ، فقد كانوا يدركون انه من الخطورة بمكان أن يتوانوا عن الخروج من تلك المنطقة مهما كان انعزالها ، وكان عليهم أن ينجزوا أعمالهم فى الحال حتى تخرج من مخبئها وقد أصلح جانبها المحطم وتكون على استعداد لمواجهة كافة الظروف التى ستتعرض لها .. وانطلق الوقادون للعمل فراحوا ينظفون مخازن الفحم على الجانب الأيمن للسفينة .

وقـد راقب براون ذلك فى الوقت الذى فرضت عليـه فيـه الحراسة . وعند المساء سمح له بالقيام بجولة على ظهر السفينة بصحبة كبير الخدم البدين .. والقى نظرة على قمم الجزيرة ، وجال بخاطره أنه لو تمكن عدو من السيطرة على تلك القمم لاستطاع باستخدام بندقية واحدة أن يجعل تسيشن بكل ما عليها من رجال ، عاجزة عن مجابهته ، اذ يمكن اكتساح كل من على ظهر السفينة ، وكذلك الفرقة التى تقوم باصلاحها ، وبذلك يتاخر حتما اصـــلاح السفينة مما يؤدى بها اما للغرق أو اللجوء الى مرفأ آخر لاصلاحها مع العلم بأن المرافىء المشابهة لجزيرة رزليوشن تعد نادرة للغاية .

ورمق القمم بانتباه مرة ثانية ، فوجد أنها على مبعدة ربع ميل على الأكثر ، وهو مالا يزيد فى الواقع عن مرمى بندقية صغيرة .. وقفزت الى راسه فكرة ، وهو يحس بالدم الحار يضرب فى عروقه وتحول عن مرافقه البدين خشية أن يلمح عليه شيئا لكنه عـاود النظر الى القمم العالية وهو يرسم فى رأسه تفاصيل خطته ، باحثا عما فيها من أخطاء ، ومتدبرا مايمكن أن ينتج عنها .. لكنه لم يجد فيها أية أخطاء بل انه تنبأ بنتائج مذهلة فقد وصلت أخبـار غرق شريبدس الى كثير من السفن البريطانية ولاشك أن هذه السـفن قد شقت طريقها وقتئذ للبحث عن تسيشن ، وأنه كلما زاد تأخرها فى المحيط زادت فرصـة الحصـول عليهـا . وأدرك براون أن هذا

العمل قد يكلفه حياته لكنه على استعداد لدفع هذا الثمن .. أن نلسون وبليك ودريك قد فقدوا أرواحهم فى حروب أخرى ..ورغم أن رعشة خفيفة سرت فى بدنه حينما خطرت له فكرة الموت ،فالموت فى سن العشرين أمر يصعب احتماله ، الا أن تلك الرعشة لم تفت من عزمه او تؤثر على خططه .

وكان هرب براون من على السفينة أمرا غاية فى البساطة، ذلك لأن أحدا لم يتوقع له أن يفكر فى الهرب ، فمن ذا على وجه الأرض يرمى بنفسه الى الموت على جزيرة جرداء لاماء فيها ، فضلا عن أن هربه سيبدو فى أول الأمر مما يبعث الراحة فى قلوب المسئولين عن السفينة : فأسرى الحرب لامكان لهم على سفينة مهمتها الاغارة، وكى يمكن المحافظة على سلامتهم فيجب معاملتهم بشدة ، ولم يرغب أحد على السفينة فى معاملة براون بشدة .

وعلى نهاية الممر الممتد امام غرفة المرضى لمح براون رفا للاسلحة به اثنتا عشرة بندقية ، وفوقها معداتها اللازمة لها .. ذلك ان تسيثن بوصفها سفينة للاغارة كان عليها الاستعداد فى أية لحظة لارسال فرقة مسلحة ، وهى اما أن تكون فرقة استكشاف أرضية أو فرقة استكشاف للسفن التى تسطو عليها . وكانت البنادق والذخيرة معدة للاستعمال . وكثيرا مالمحها براون لمحا عابرا ، لكنه فى هذه المرة فتح باب المخزن وتسلل اليه بهدوء وراح يفحص البنادق بدقة ، وكانت مزيتة بزيت كثير فذلك أمر ضرورى فى المناطق الاستوائية . وتحسس أكياس الذخيرة فوجدها مليئة عن آخرها ، ويحتوى كل منها على ستين طلقة .. وكانت هناك أيضا بعض الحوافظ الجلدية التى تحتوى على مقرر يومى من الذخيرة يستعمل فى حالة الطوارىء .. أما زجاجات الماء فكانت فارغة والتقط براون زجاجتين وانسل الىغرفته فملأهما ،وأغلقهما باحكام .. وأرهف السمع .. لم يكن هناك أحد على وشك القدوم، فشق طريقه عائدا الى مخزن الأسلحة ، فوضع الزجاجتين فى مكانهما من حزام الذخيرة . وأفرغ بعض أكياس الذخيرة فى جيوبه كما أفرغ بعضا من الذخيرة الاحتياطية فى الكيس الذى عزم على



حمله معه .. وكانت استعداداته على خير مايرام .. وقال لنفسه أنه اذا لم يستطع مناوشة تسيثن لمدة أسبوع كامل وقد زود نفسه بالماء والغذاء الكافي ليومين ، وبكمية من الذخيرة كافية للقيام بمائة وعشرين جولة فان ذلك سيكون أمرا يدهش له كثيرا ..

واذا كان الاستعداد للهرب أمرا هينا فقد كان الوصول الى جزيرة رزليوشن فى حد ذاته أمرا صعبا .. وأدرك براون أن خطته قد تفشل فى هذه النقطة وأن اكتشاف خطته يعنى تعريضه لعقوبة السجن ، ويعنى نهاية كل آماله .. لكنها كانت مجازفة يجب مواجهتها .. ووازن فرص الكسب والخسارة وقرر فى النهاية أن النجاح قد يحالفه اذ لايتطلب الأمر سوى أعصاب باردة وحظ طيب .

وخيم الظلام خارج السفينة لكن القمر لم يكن قد اعتلى بعد قمة الجزيرة كى يلقى بضوئه على البحيرة .. ورفع براون كل ما أعده من ذخيرة وحملها على كتفيه ، حازما اياها على صدره .. والتقط بندقية ، فوضعها على كتفه ثم انسل الى الممر .. وفى غضون خمس ثوان كان قابعا تحت قوارب الانقاذ التى كانت معلقة على حواملها دون أن يلحظ الخفير المنوط أو الحرس المسلح أو أى عابر آخر .. وراح يستعد بسرعة للقيام بالخطوة التالية .

وقطع أربطة غطاء القارب بمطواه ثم سحب منه بعد قليل من البحث ، حزامين للنجاة من الأحزمة التى كانت معدة هناك ـ وربط أحدهما على بندقيته باحكام فقد أدرك أنه سيفشل فى مهمته فشلا ذريعا اذا ماغرقت بندقيته فوصل الى الجزيرة بلا سلاح .. وربط الحزام الآخر على جسمه ونزل الى الماء فى بطء . وكان الماء دافئا .. وشق طريقه الى مؤخرة السفينة بثبات وصبر حتى ابتعد عنها دون أن يشعر به احد .. وبعد نصف ساعة حملته ضرباته القوية البطيئة الى الجانب الآخر للبحيرة .. وكان عليه أن يسبح لمدة عشر دقائق أخرى بمحاذاة هذا الجانب قبل أن يكتشف تحت ضوء القمر الخافت جزءا بارزا من الشاطىء يمكنه من الصعود الى الجزيرة ، وفك حزامى النجاة والقى بهما وسط اشجار التين الشوك ، وثبت

ذخيرته على جسده باحكام ووجد نفسه فى مواجهة السفح الذى يكاد أن يكون عموديا •

ولم يكن براون يعرف شيئا عن طبيعة جزر الجالاباغوس بل انه لم يكن يعلم أنه على احداها .. ولذا فقد تطلب منـــه تسلق ذلك المنحدر مجهودا عظيما فالجزيرة تتكون من كتل بركانية ملتصقــة ببعضها البعض وقد نما عليها التين الشوكى ، وكان التقدم لمسافة ياردة واحدة كفيلا باحداث جروح عميقة فى اليدين والرجـلين وتمزيق الملابس ، نظرا لسطح الجزيرة ذى الحواف المدببة والذى تنتشر النباتات الشوكية فى كل مكان فيه .. وبعد أن تقدم براون خمسين ياردة خدر الألم عقله وبدنه لكنه واصل الزحف دونما كلل وفى خلال ذلك خطر له خاطر طرب له فؤاده المتعب ، ذلك أنه اذا اكتشف أمره الآن وقامت فرقة أرضية بمهاجمته فسوف يتمكن ببندقيته من صد رجالها .. وشق طريقه الى القمة وهو يلهث من التعب ، يتحسس فى ظلمــة الليل مكانا ليده أو لقدمه ، حتى وصل الى صخرة أدرك بفطرته أنها ستكون موقعا استراتيجيا ممتازا واستلقى بجسده على الأرض وقد وضع بندقيته بجانبه ، منتظرا طلوع الفجر •• وأطبق عليه نوم عميق ، اثر ما بذله من مجهــود عظيم ، وقد ولى وجهه ناحية الأرض وأسند رأسه على ذراعيه •

## الفصل الثامن

ولكن فى الوقت الذى كان براون يزحف فيه على سفح جزيرة رزليوشن الشديد الانحدار ، وبينما كان ينام فى حضن الصخرة التى اختارها لنفسه موقعا ، حدثت أشياء كثيرة ، فقد وصلت للسفينة تسيثن عن طريق اللاسلكى أنباء خطيرة من محطات الارسال الأمريكية .. وحمل الأثير فى شرقى المحيط الهادى كثيرا من الانباء المثيرة ، فقد تمكن فون سبى من أن يضرب ضربته الأولى ضد حلقة الأعداء التى أطبقت عليه ، وذلك حينما نازله أمير البحر السير كريستو فركرادوك بسفينتين حربيتين صغيرتين بينما كان فون سبى على رأس سفينتين قويتين ولم يكن حظ أمير البحر أحسن حالا من حظ شريبدس حينما التقت بالسفينة تسيثن . وغرقت سفينتاه « جود هوب » و « مونماوث » بكل ماعليهما تحت طلقات مدافع « شارنهورست » « وجنايزناو » ، وحينئذ أصبح فوق سبى سيدا لساحل جنوب الباسيفيك ..

واحتجبت سفن النترات التى كانت بريطانيا فى حاجة ماسة اليها لتصنيع المتفجرات فى موانىء شيلى بينما حكم فون سبى البحر بما غدا له من هيبة وسلطان .. وراحت البحرية البريطانية تبحث عن حل سريع لملء الفجوة التى أحدثها فون سبى فى الحلقة التى أحاطوه بها .. وأدرك القبطان فون لوتزذلك عن طريق اللاسلكى مما أشعل فى قلبه الحماسة وراح يشرف على اجراءات اصلاح السفينة بصبر نافد ، حيث أدرك أنه لايجب التوانى لحظة واحدة، وكان يدرك فى أعماقه أنه ليس هناك من سبب يضطرهم لذلك .. وساوره الاعتقاد بأن ترميم السفينة لن يستغرق أكثر من اثنتى عشرة ساعة ، وتعود تسيثن الى المحيط مرة ثانية كى تعلن على الملأ

انتصارها على شريبدس وكى تخبر العميل السرى لألمانيا فى « بيرو » بحاجتها الماسة للوقود .

وغرق القبطان فون اوتز فى توقعاته السارة حتى أن نبأ هرب الأسير الانجليزى باحدى البنادق لم يسبب له أى قلق ، اذ رأى أن هربه لن يضره بشيء ، وأصابته الدهشة لاهتمام براون بتسليح نفسه وهو يدرى أنهم لن يحملوا أنفسهم عبء مطاردته .. واكتفى قائد السفينة بوضع من كانوا مكلفين بحراسته فى السجن لأسباب نظامية محضة .

واستيقظ براون مع الخيوط الأولى للفجر .. كان فى حالة شديدة من التعب والألم والعطش ، لكنه اكتفى بجرعتين فقط من الماء .. وتفحص بندقيته فوجد أن الزيت قد حماها من البلل وبذلك لم يلمح عليها أية آثار للصدأ . وراح ينظفها ويعدها للاستعمال ولم يكن قد استعمل من قبل بندقية من طراز « موزار » لكنها كانت سهلة الاستعمال فضلا عن أنه شاهد استعمالها كثيرا .. وملأ خزانة الأسلحة بالرصاص واستلقى على الأرض مستعدا للعمل .

وعلى بعد نحو ربع ميل أسفله بدت تسيثن فى وسط البحيرة بلا حراك كأنها سفينة للموتى ، حتى مداخنها لم تكن تبعث الا بغلالات بسيطة من الدخان تدل على مايدور بداخلها من نشاط .. وحينما زاد ضوء النهار استطاع براون أن يلمح عددا من الاشخاص على ظهر السفينة .. وأمسك ببندقيته وهو يركز بصره على كل منهم على حدة ، ممتنعا عن اطلاق النار ، فقد شاء أن يستغل كل رصاصة أحسن استغلال .. وفيما بعد رفرف العلم على السفينة مؤذنا ببدء العمل عليها ، وتزايد النشاط على الجانب الأيمن حيث يقوم العمال بترميم الثقب الكبير الذى أحدثته شريبدس .. وعلى جانبى الثقب أنزل مقعدان ، نزل أثرهما اثنان من المهندسين على سلم بحرى فى زيهما الأبيض اللون .. وكانت خطة العمل هى ازالة الألواح الحديدية المحطمة فى الوقت الذى تعد فيه الألواح الجديدة . وثبت براون بندقيته فى كتفه وأسند خده على مؤخرتها واستعد للعمل .

وخلال الفترة القصيرة التى كان يحاول فيها اتخاذ الهدف جالت برأسه آلاف الأفكار ، فاذا لم يضغط على الزناد فانهم لن يبحثوا عنه ، وسوف ينتهى ترميم السفينة ثم تغادر الجزيرة ، ويبقى هو حرا ، وستسنح أمامه الفرصة لأن تلتقطه أية سفينة عابرة وتعيده الى وطنه ، أما اذا ما أطلق النار وقتل واحدا من بحارة السفينة فسيصبح المئات من البحارة الألمانيين أعداءه اللدودين ، ويدفعهم غضبهم الى قتله .

ها هو الموت يتربص به فى ناحية وها هى الحرية فى انتظاره فى ناحية أخرى .. انه اختيار خطير الشأن وربما تحتم على براون أن يتردد فى اتخاذ قرار بشأنه لكنه لم يتردد البتة بل انه لم يتمهل لحظة ليفكر فى الاختيار ، فقد اتخذ قراره فى الليلة الماضية وحينما يتخذ رجل مثله قرارا فليست هناك فسحة للتردد .

واتضحت له الرؤية شيئا فشيئا .. وصوب بندقيته ناحية الجانب الأيمن للسفينة حيث يقوم العمل على قدم وساق .. وانطلقت نيرانها فأحدث صداها دويا عظيما تردد فى أنحاء الجزيرة .. وسقط كبير المهندسين معلقا على مقعده الذى يرتفع بجوار الجانب الأيمن للسفينة .. وفى ذات اللحظة صوب براون هدفه مرة اخرى فى سرعة وهدوء وأطلق النار على الرجل الآخر فأرداه قتيلا فى اللحظة التى استدار فيها ليرى ماذا حدث اثر الطلقة الأولى .. وسقط رجل ثالث تلاه رابع أصابه الرعب فهرع الى السلم البحرى .. وأطلق براون ثلاث رصاصات أخرى على جماعة الرجال الذين تجمعوا على ظهر السفينة من ناحية الجانب الأيمن حبا للاستطلاع .. وفى ثوانى قليلة خلا ظهر السفينة من كل نفس ، على قدر ما يرى براون .. وكانت السفينة تتأرجح فى بطء وقد أرست مراسيها ، وبدت فى لون كالح مقبض ، ومدافعها الخرساء تبرز الى الأمام فى سكون مطبق .

وكان ذلك مشهدا رائعا يدل على قوة الآلات الحديثة وعلى عجزها فى ذلك الوقت ، فقد وقفت تسيشن بمدافعها ذات العيار ٦ بوصة وبعثات البحارة عليها ، وبقوتها التى تبلغ قوة آلاف الأحصنة ، فى جانب ، وفى الجانب الآخر شاب طوله خمس أقدام

يبلغ من العمر عشرين عاما ، ويسيطر على السفينة بقوته وعزيمته . لكن براون كان قويا بفضل بندقيته ، تلك الآلة البسيطة المنمقة التى اخترعها الانسان ، وقد غيرت البندقية فيما مضى مجرى التاريخ ، ورغم أن براون لم يكن هدافا ماهرا الا أن اصابة أربعة رجال بأربع رصاصات وعلى مبعدة ربع ميل فقط منه انما هى أمر ليس بالغريب فى عالم الرماية .. لكن براون كان قادرا على استعمال سلاحه ببراعة كافية ، وكان هذا كل ما تتطلبه منه بندقيته الصغيرة . وكسب براون جولته الأولى واستلقى خلف صخرته منتظرا الخطوة التالية .. وظهرت رأس خلف المدخنة الأمامية للسفينة وأطلق عليها براون النار سريعا لكنه أخطأ الهدف فشعر بعدم الرضا .

وعلى ظهر السفينة انتشر الضيق من ذلك الحـــادث المقلق ، فاربما كان من الممكن ان يظل الأمر مجرد مضايقة بسيطة لولا أن راح ضحيته أربعة رجال .. ولولا الغضب الذى أثاره موت هؤلاء الرجال بين أصدقائهم ورفقائهم لكان كل ما نتج عن الحادث مجـرد الدهشة العميقة تجاه ذلك الرجل الذى جرؤ على الوقوف ضـــد سفينة مسلحة ، والأسف على التأخر فى اصلاح السفينة .

ومن كوات السفينة وثقوبها راحوا يرقبون قمم الجزيرة بقلق محاولين رؤية ذلك الانجليزى المجنون الذى تصرف بطريقة غريبة . وخطا القبطان فون لوتز ، وكان أكثر الجميع غضبا ، ناحية القنطرة ، لكن رصاصة مدوية مرقت بجانب أذنه . حتى القبطان فون لوتز الذى يعد من أذكى القــواد فى البحرية الألمـانية والذى يتنبأ له بمنصب قيادى عظيم فى المستقبل القريب حتى هو ، لم يدرك صعوبة المهمة التى يواجهها لكنه أصدر أوامر قاطعة باعداد القارب البخارى كى تستعين به فرقة أرضية فى القبض على ذلك الرجل المشــاغب واحضاره الى السفينة للنظر فى أمره .

واستلقى براون فى مخبئه فى صبر .. وكان يتحكم من مكانه هذا فى مؤخرة السفينة وفى جانبها الأيمن ، وقد صوب بندقيتـه ما بين كتلتين من كتل الصخور البركانية التى كانت تحميه تماما ، وكان نبات التبن الشوكى الذى يتعالى فوق ما امامه من صــخور

ستارا كافيا لحمايته .. وأحس بالرضا الكامل عن موقعه ..ووجد أن خزانة الأسلحة لا تزال مليئة . واستسلم للشمس الحارقة التي إنعكست حرارتها على الصخور العارية فكانت تشويه شيا .

وفجأة ظهرت بوادر الخطوة التالية ، فقد ظهر القارب البخاري بجوار مؤخرة السفينة ، شاقا طريقه ببطء تجاه الشاطيء وعليه عشرون رجلا .. وأعمل براون بندقيته بسرعة مسقطا عددا كبيرا من الضحايا قبل أن يتمكنوا من الاختباء . . وسقط الرجل الممسك بدفة القارب اثر رصاصة اخترقت صدره ، لكن الضابط المنوط بالقيادة التي كانت النجوم الذهبية تلمع على سترته الناصعة البياض استطاع أن يحفظ توازن القارب قبل أن يخرج عن طريقه في اللحظة التي اخترقت فيها رصاصة براون قبعته العسكرية فأطاحت بها .. واختفى القارب في ثانية على حافة البحيرة تحت الصخور الناتئة وحشا براون بندقيته مرة ثانية ..

وأدرك الضابط المنوط بقيادة الفرقة الأرضية لحظة امساكه بدفة القارب أن الأمر لن يكون كما تصور مجرد القبض على شخص لا حول له ولا قوة .. وأدرك أن رجلا واحدا يستطيع من على مبعدة مائة ياردة أن يحصد عددا كبيرا من آية فرقة من الرجال تندفع نحوه .. فضلا عن أنه تلقن درسا آخر سيرد ذكره في حينه .. أما الآن ، فقد قام بالترتيبات التي بدت مرضية بالنسبة له ، فمنع رجاله من الاندفاع من القارب دفعة واحدة نحو سفح الجزيرة .. وأمرهم بأن ينتشروا على مسافة خمسين ياردة تحت الصخور التي كانت تحميهم .. وتأكد من أن جميع بنادقهم محشوة .. وحينما اطمأن الى أن كلا منهم اتخذ مكانه أصدر أمره بالهجوم .

وهنا بدأ الدرس الثاني .. فحينما أمر القائد بالهجوم صائحا : اهجم .. لم يكن يدري أن هذه الكلمة ليس لها مكان على سفح هذه الجزيرة ، فقد حالت الصخور المدببة ونباتات التين الشوكي الكثيفة دون التقدم السريع ، فان اكثر الرجال نشاطا لا يمكنه التقدم على جزيرة رزليوشن بأكثر مما يتحرك ثعبان في حديقة كما اكتشف براون في الليلة الماضية .

أما براون فقد لمح من مكانه خلف الصخرة عددا من الرؤوس تبرز قرب مستوى المياه ، فأطلق النار على احداها .. فأقدم بقية الرجال نحوه وهم يختفون خلف كتل الصخور البركانية ، مقتربين منه بسرعة بطيئة مثيرة للسخرية .. وحيث أن بدن الرجل يعد هدفا كبيرا على بعد مائة ياردة فقد أطلق براون ست رصاصات سقط أثرها ستة رجال قبل أن يصبح الأمر بالهجوم في حكم المنتهى .. فلم يكن بمستطاع رجل يرى رفاقه يسقطون حوله واحدا اثر الآخر أن يرفع راسه ويعرض نفسه للطلقة التالية . واختفى بقية الرجال خلف الحاجز الذى نصادف وجوده أمامهم ، واستلقوا دون بذل آية محاولة للتقدم .. ودفعوا ببنادقهم الى الأمام وراحوا يطلقون النار على ذلك الموت الذى يقبع فوقهم دون أن يراه أحد منهم .. وحطمت أصوات اطلاق النار المتتالية هدوء الجزيرة وسكونها .

لقد كان كل شيء حتى الآن فى صالح براون ، فلم يعرف أحد من رجال الفرقة الأرضية مخبأه ، وكان الفضل فى ذلك لكتل الصخور البركانية ونبات التين الشوكى الذى كان ينمو كثيفا على سطح الجزيرة .. لقد كان براون مختبئا تماما ، وكان فى مكانه العالى يسيطر على سطح الجزيرة بأكمله ، وأمامه عدد كبير من الأعداء احتلوا مكانهم أمام عينيه بمحض المصادفة وتحت الشمس الحارقة .. وأدرك براون الخطر الذى وصل اليه أعداؤه وكان رزينا ، لم يسبب له الجهد الذى بذله أى خوف أو اضطراب

وبدأت الطلقات تدوى فوق رأسه فى الهواء اللافح مخلفة غلالة ترابية أثر اصطدامها بالصخور ، أو مخترقة طريقها خلال أوراق التين الشوكى السميكة . وكانت كلها بعيدة عن براون حتى أن احداها لم تصل الى مرمى عشر ياردات منه . وبدأ براون مرة ثانية يحصد مهاجميه وأعصابه باردة كالثلج . وكان يصوب بندقيته نحو مايظهر من أجساد مهاجميه ، فحينا تظهر كتف وحينا تظهر ساق وحينا ثالثا يظهر الجزء الأعلى من الجسم بأكمله فيطلق براون النار ثم يصوب بندقيته على هدف جديد وهو قابع فى

مكانه حريص على الا يعرض نفسه لهم .. وكانت كل طلقة يملأ صداها أرجاء الجزيرة كلها ، لذا فقد كان من الصعب تحديد مكانه بناء على صوت طلقاته .

وارتمى الجرحى فوق الصخور وهم يتأوهون من الألم ، كما استلقى الموتى على وجوههم وهم يمسكون بنادقهم .. ولم يجرؤ الآخرون على اطلاق النار مرة ثانية ، لكنهم قبعوا فى الأماكن التى تصادف وجودهم خلفها ، وجلين من التحرك خشية أن يبعث عدوهم المزعج بطلقاته فيحصدهم حصدا .. وتوقف اطلاق النار ونهض الضابط على قدميه وقد استشاط غضبا ، يصيح فى رجاله وتلقى فى وجهه طلقة أردته على ظهره قتيلا بين نباتات التين الشوكى الكثيفة .. وخيم السكون مرة ثانية .. ونفخ براون فى ماسورة بندقيته بهدوء.. وراح ينتظر أية اشارة تدل على أن أحدا من أعدائه ربما يحاول أن يزحف على الجزيرة حتى يصل اليه . ومرت ساعة لم يحدث خلالها شيء سوى أن أحد المهاجمين التعساء مد ساقه فى محاولة للاسترخاء غير أن رصاصة اصابته فى ركبته فسلبته دم الحياة فى غضون نصف ساعة .

وحل السكون على الجزيرة بعد أن توقف اطلاق النار من كلا الطرفين ، وكانت الشمس ترتفع فى ثبات وهى تصب أشعتها المحرقة على الصخور . وكان الماء فى البحيرة أزرق صافيا ، وقد توسطته السفينة مرسية مراسيها .. وتغير الحال على سطح الجزيرة بفعل تلك الحرارة القاسية ، ومرت الدقائق كأنها الساعات لكن البحارة التعساء لم يجرؤوا على التحرك ولا تزال تأوهات رفاقهم الجرحى ترن فى آذانهم .

وأصابت الحيرة كل من على السفينة لما حدث على الجزيرة.. فقد شاهدوا الفرقة الأرضية وهى تعتلى سطح الجزيرة ، وشاهدوا الرجال وهم يسقطون وسمعوا اطلاق النيران يتزايد فجأة ثم ينتهى الى لا شيء لكنهم لم يتمكنوا من تفسير أية نتيجة لذلك .. وهم لا يزالوا يرون القارب بجوار الشاطيء وقد جلس به حارسه لكنهم لم يشاهدوا أحدا من الفرقة الأرضية بصرف النظر عن

عن بعض الضحايا الذين تناثرت جثتهم على سفح الجزيرة المليء بالأشواك والصخور .. وخيل للمسئولين على ظهر السفينة ان الهجوم قد وصل الى مكان بعيد من الجزيرة وان ذلك ربما يرجع الى مطاردة المهاجمين للجندى الهارب ، وبذلك يتلاشى الخطر المحدق بالعمال الذين يصلحون جانب السفينة المحطم ..

وأصدر القبطان فون لوتز الذى تملكه القلق ونفاد الصبر والرغبة فى اعداد السفينة للعمل مرة ثانية ، أصدر أوامره فجأة بأن تبدأ جماعة جديدة من العمال فى اصلاح السفينة .

ورأى براون ، من مكانه خلف الصخرة ، العمال ذوى السترات البيضاء وهم ينزلون على السلم البحرى تجاه الجزء المحطم من جانب السفينة الأيمن ، وترك لهم فسحة من الوقت حيث أرسلوا جثث من سبقوهم ثم بدءوا العمل .. وفى تلك اللحظة أطلق عليهم النار ، ومرة ثانية انتشر صدى الطلقات فى أنحاء الجزيرة . وقد أيقظت الطلقات المفاجئة بقية رجال الفرقة الأرضية من سباتهم ، وكان التعب قد الم بهم ، وتملكهم الشعور بالذنب نتيجة لفشلهم فى مهمتهم فحملوا بنادقهم مرة ثانية وكون أحدهم فكرة عن المكان الذى يختبىء فيه براون وراح يهيل الرصاص تجاهه حتى ان احدى تلك الطلقات أثارت الغبار فى وجه براون . وتيقن براون من الخطر المتربص به ، فلم يحفل كثيرا بما يطلقه عليه الآخرون من رصاص وحملق خلال الفجوة الرقيقة التى تفصل بين الصخرتين اللتين يختفى خلفهما محاولا معرفة ذلك العدو الماهر الخارق الذكاء ..

وأخيرا وقع بصره عليه أو على جزء منه على الأقل ، وكان لايزال يطلق النار على مكان براون بحماسة شديدة وفى كل مرة تدوى الطلقة على مقربة منه .. وربما أحس براون بالأسف وهو يصوب بندقيته نحو ذلك الجندى الذى لم يكن على مبعدة أكثر من مائة ياردة منه ، وكان مؤكدا أنه سيصيبه ، وحالما أطلق براون النار عليه حتى رآه يتهاوى ويسقط الى الخلف . كان فتى ناعم الشعر ، لا يختلف كثيرا عن براون نفسه ، وكان يحاول

جاهدا أن يمسك بيده اليسرى كتفه الأيمن الذى مزقته الرصاصة وسال الدم بين يديه ووجهه يتقلص من شدة الألم .

ولم يأبه براون لحظنها للأمر كثيرا وحول انتباهه الى الآخرين الذين كانت تنصب طلقاتهم على مبعدة عشرين ياردة من كل من جانبيه .. وسقط واحد منهم عرض نفسه للطلقات رغما عنه .. وتوقف الآخرون فجأة عن اطلاق النار ، وانكمشوا فى جحورهم .. وفى تلك اللحظة شاهد براون حارس القارب وقد تملكه حب الاستطلاع فوقف محاولا استطلاع ما يجرى فرفع رأسه وكتفيه الى أعلى من مستوى الصخور الموازية لمستوى البحيرة فأطلق براون النار عليه وارداه قتيلا دونما رحمة أو تردد ..

وكان الوقت قد اقتــــرب من الظهيرة .. وبذلك فقد أخر براون تصليح السفينة لمدة ست ساعات .. وكان ذلك فى حــد ذاته عملا عظيما ..

## الفصل التاسع

اثبت الحدث التالى فى المعركة التى دارت رحاها على جزيرة رزليوشن قوة براون ، وقوة البندقية الملتهبة بين يديه .. فعلى مؤخرة السفينة ظهر نفر من الناس راحوا يلوحون بعض الوقت بشىء أبيض اللون ثم نزل رجلان على السلم البحرى المثبت على جانب السفينة المحطم .. وقد أيقن براون رغم بعدهما عنه أن أحدهما هو الطبيب الذى عامله برقة متناهية حتى أنه مزح معه ذات مرة باحدى النكات .. وكان براون حينئذ متصلب الرأى عكر المزاج فصوب بندقيته نحو الطبيب لكنه سرعان ما تذكر العلم الأبيض الذين لوحوا له به فامتنع عن اطلاق النار .. وانحنى الرجلان على الجرحى المتهالكين على المقاعد المعلقة بجوار السفينة فأسعفوهم بالعلاج اللازم ، وسرعان ما رفع الجرحى الى سطح السفينة ، وصعد الرجلان خلفهما .

وفى ذلك الوقت حدثت ضجة مفاجئة أسفل السفح ، فقد بلغ التعب مبلغه بأحد الباقين من رجال الفرقة الأرضية ، فلم يعد يتحمل حرارة الشمس اللافحة أو البقاء على سفح الجزيرة الصخرى أكثر من ذلك . ولما كان أقرب زملائه الى سطح المياه فقد رمى بنفسه فجأة وراح يتدحرج فوق الصخور مصطدما بالأشجار الشوكية التى كانت تنتزع قطعا من جلده وملابسه حتى ألقى بنفسه فى الماء ، وأطلقت رصاصة من بندقية براون فمزقت فى طريقها قطعة من أذنه لكنه فى حمى وجله ورعبة لم يشعر بذلك .

وانتقلت عدواه الى بقية زملائه الذين القوا بأنفسهم من قمة السفح ، فأصاب براون أحدهم فى ظهره ، لكن اثنين آخرين وصلا الى الماء بسلام الا من بعض الخدوش والكدمات .. وبذلك كان هناك ثلاثة رجال يقبعون بداخل القارب البخارى وهم الرجال الثلاثة الذين لم يصابوا بجراح من كل رجال الفرقة الأرضية ذات الواحد والعشرين رجلا .. وكان مظهرهم يغنى عن السؤال عما حدث لهم على سفح الجزيرة .. وتصاعدت من صفارة انذار السفينة نداءات متتالية تطالبهم بسرعة العودة الى السفينة لاستجوابهم .. ولحسن حظهم كانت اجابة كل الأسئلة بسيطة مقتضبة :

- أين بقية أفراد الفرقة الأرضية ؟

- ماتو ..

- أين الضابط شترومر ؟

- مات ..

- كم رجلا واجهكم ؟

- واحد .

- أين السجين الهارب ؟

- على قمة الصخور .

وتوالت مثل هذه الاجابات العاجزة التى لا تدل على شىء : « انه مختبىء » . « لا ندرى أين » ، « فى ذات المكان الذى كان به منذ الصباح » . وجن جنان القبطان فون لوتز وراح الضباط يمسحون سطح الجزيرة بنظاراتهم المكبرة لكن لم تكن هناك فرصة واحدة للعثور على براون .. وهاج البحارة جميعا حينما علموا بمقتل غالبية أفراد الفرقة الأرضية ، وضاقوا ذرعا بضباطهم ، وتعطشوا لدم ذلك الرجل الذى الحق العار بسفينتهم .. وعلم فون لوتز

بذلك . لقد أزال هرب براون كل الأثر الطيب الذى أحدثه انتصارهم على السفينة شريبدس .. ولن يعيد لهم هذا الشعور الطيب سوى موته .. وأدرك فون لوتز وجوب انتشار الشعور الطيب بين بحارة السفينة خاصة وأنهم على وشك البدء فى رحلة طويلة قد تنتظرهم الهزيمة أو الدمار فى نهايتها . فضلا عن أنه يجب أن لا يظل رجاله بلا عمل .. ولذا فقد أصدر أوامره بأن تنزل الى الجزيرة أكبر فرقة أرضية يمكن أن تقدمها السفينة دون أن تحدث خللا بعدد بحارتها ، وكانت مائتى رجل . وسرت موجة من الغبطة فى أرجاء السفينة .

وقرر القبطان أن يستمر تصليح السفينة فى الوقت نفسه فأمر الضابط المختص بأن يرتب عددا من الجنود على شكل ستارة تحمى العاملين على السطح المحطم بحيث تحجبهم عن الجندى الهارب على قمة الصخور .. وراحت فرقة من العمال تعد العدة للعمل فى اصلاح السفينة ، فى الوقت الذى استغرق فيه القبطان وضباطه فى وضع خطة للهجوم على براون لوضع حدا لما يسببه من متاعب . وقرروا ألا تتكرر الأخطاء التى حدثت فى الصباح حيث اندفع عدد قليل من الرجال على السفح الذى يستحيل تسلقه فى مواجهة سلاح مستعد لملاقاتهم واحدا اثر الآخر .

وأعدت حملة منظمة تنظيما كاملا . وكان على جميع الرجال أن يحملوا معهم الطعام والشراب .. وقسموا الى عدد من الفرق الأرضية اختصت كل منها بجزء من الجزيرة وكان على هؤلاء الرجال أن يرغموا براون أولا على التحرك والظهور ثم يهاجمونه بعد ذلك .. وكان على حملة البنادق على قمم الصخور أن يراقبوه مراقبة دقيقة وأن تستمر عملية البحث عنه طول الليل لو تطلب الأمر ذلك .. وفى حالة القبض عليه أو قتله تبلغ قيادة السفينة بذلك فورا عن طريق اللاسلكى أو الاشارات الخاصة حتى يمكن استدعاء الفرق الأرضية الى السفينة فورا .. وأعدت كل

الاستعدادات الممكنة تقريبا .. لكن نقطة الضعف الوحيدة فى الخطة هى أن واضعيها كانوا لا يزالون يجهلون صعوبة التحرك على الجزيرة .

وشعر براون ـ الذى كان الوقت يمر عليه ثقيلا ـ بالنشاط الكبير الذى بدأ يدب على ظهر السفينة إذ بدأ بعض الرجال يظهرون هنا وهناك محاولين علي قدر امكانهم عدم تعريض أنفسهم له وكان براون يطلق عليهم النار كلما سنحت له الفرصة مما جعلهم جميعا فى عجلة من أمرهم .. وأصاب أربعة رجال على الأقل وقد سقطوا على السطح العلوى للسفينة بعضهم فاقد الحركة وبعضهم يزحف باحثا عن ملجأ .. وكان بعض الرجال يطلقون النار على براون من داخل السفينة وهم لا يعرفون له مكانا ..

وانطلقت من خلف السفينة أربعة قوارب مكتظة بالرجال يقودها القارب البخارى . وفى الوقت نفسه انطلقت من السفينة جلبة طلقات نارية متتالية ، وادرك براون أن هناك خطرا جديدا يتعرض له ، فقد وضع مدفعان رشاشان على مقدمة السفينة المواجهة له ، يرميان بوابل من رصاصهما فوق الصخور ، فيثير الرصاص الغبار فى كل مكان ، ويتساقط التين الشوكى هنا وهناك فى الوقت الذى يخترق فيه الرصاص جذوع أشجاره الطرية .. وتحت هذا الوابل من الرصاص اضطر براون الى التفكير بسرعة ووضوح اذا وجد أنه لن يكون بامكانه أن يفعل الكثير ليوقف زحف هذه القوارب الأربعة فقتل عدد من الرجال لن يوقفهم جميعا ، فضلا عن انه اذا ما شاء أن يجيد التصويب نحوهم فقد يعرض نفسه لذلك الوابل من الرصاص ولن تكون المجازفة بذلك جديرة بالنتيجة التى سيحصل عليها .. فيقبع خلف الصخرتين المتلاحمتين اللتين أدتا دورهما على خير وجه .

وحينما انقطع وابل الرصاص من فوقه أطل من بين الصخرتين وهو قابع فى مكانه ولكنه لم ير شيئا .. فجال ببصره قليلا حول

الصخرتين فشاهد القوارب الأربعة تتجه نحو مدخل البحيرة بدلا من أن تتجه نحوه ، وحتى حينما وقع بصره عليها كانت قد اختفت خلف الصخور .. وكان عليه أن يعكس وضعه على الجزيرة وحينئذ نظر براون الى الشمس فى قلق وكانت لا تزال هناك ساعات ثلاث من النهار .. وحمد الله على ذلك .

وتسبب هطول الرصاص من المدافع الرشاشة فى احداث انهيار فى الصخور على مبعدة ثلاثين ياردة من براون وقد أثار هذا انتباه المصوبين على ظهر السفينة فأمطروا المكان الذى حدث فيه الانهيار بوابل من الرصاص حيث تصاعد الغبار كثيفا ثم توقف اطلاق النار فجأة .

كانت الذخيرة تنفق بكميات مهولة برغم وجوب المحافظة على ذخيرة الأسلحة الصغيرة على مثل هذه السفينة الحربية لأطول فترة ممكنة .. وصدرت عن السفينة أصوات آلات مختلفة وأدرك براون أن عمليات التصليح تتقدم بسرعة كما أدرك أنه لا يمكنه التدخل فى هذه اللحظة .. وقطب جبينه فى حزن لكنه كان يعلم أن هناك العديد من النظارات المكبرة التى تقوم بعملية مسح لقمة الصخور ، وأن هناك عشرات من البنادق تقوم مصوبة نحوه ، فلم يجرؤ على محاولة تغيير موضعه حتى يتمكن من اطلاق النار على الرجال الذين يكونون ستارة تحمى العاملين فى اصلاح السفينة .

وكان يدرى أيضا أن رجالا كثيرين قد هبطوا خلفه على الجانب الأقصى للجزيرة وسرعان ما سيتقدمون نحوه ويصلون اليه وكان مكانه خلف الصخرة واضحا من نقطة أو نقطتين على قمة الجزيرة ، فلو وصل العدو الى نقطة منهما فى وضح النهار لتأكد هلاك براون .. ولو تحرك من مكانه الحالى فى وضع النهار أيضا للقى حتفه ..

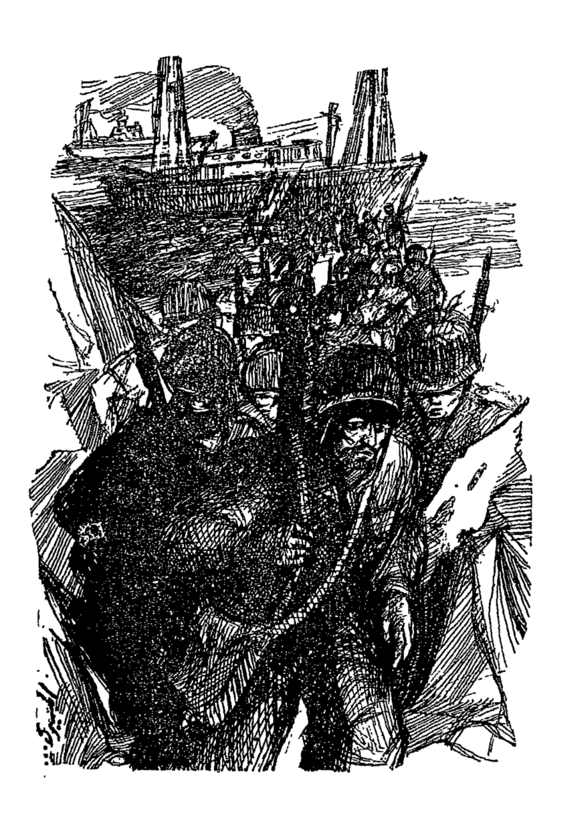
وهكذا فقد اعتمدت حياته على حلول الظلام .. وليس من شك في أن براون فى هذه اللحظة لم يحفل كثيرا بفكرة الموت ، فلم يكن الخوف من الموت قد تملك منه بعد .. وكل ما كان يرجوه هو أن تواتيه الفرصة لتأخير السفينة على جزيرة رزليوشن .. وعلى أى حال فقد فعل حتى الآن كل مافى وسعه وقبع فى مكانه خلف الصخرة رابط الجأش قوى العزيمة منتظرا قدوم الليل ، وشعر براون باحساس عميق بالرضا ، ذلك الاحساس الذى يشعر به كل انسان ينتظر الموت .. وقد بذل كل مافى وسعه كى يتجنبه وتملكه هذا الشعور حتى وهو يراقب السفينة مراقبة دقيقة .. انتظارا لأية فرصة مناسبة قد تسنح له ..

## الفصل العاشر

اندفع القارب البخارى الذى كان يجر خلفه فى هذه المرة قوارب فارغة ، بين الصخور متجها نحو السفينة ، وفى عضون ربع ساعة عاد مرة ثانية وقد امتلأت القواررب بالرجال وراحت المدافع الرشاشة على ظهر السفينة تصب نيرانها مرة ثانية على قمم الجزيرة كى تمنع براون من اطلاق النار على القوارب لكن براون لم تكن لديه النية فى اطلاق النار .. وشاهد القوارب تتجه وجهتهاالسابقة وكان هذا يعنى أن الهجوم على الجزيرة سيكون من خط واحد .. وأدرك براون أنه اذا تمكن من التحرك على الجزيرة واتخذ مكانا بعيدا بعض الشىء عن مكانه الحالى فلربما أصبح فى امكانه أن يتحاشى الهجوم وكان تقدير براون لعددهم لايقل عن مائتى رجل تفصل كلا منهم عن الآخر مسافة عشر ياردات ، وبذلك غطوا نحو ألفى ياردة من مساحة الجزيرة . وكان هناك ما يقرب من أربعة آلاف ياردة فى مؤخرة الجزيرة وجد براون أن عليه أن يجد لنفسه عليها مكانا قصيا اذا ما رغب فى أية فرصة للنجاة .

ومع هذا فهو لم يتحرك من مكانه الا حينما هبط الليل وقد انتظر بصبر مشوب بالقلق لا يدرى من لحظة الى أخرى متى يطلقون عليه النار من قمة هذه الجزيرة .. وألقى براون ببصره الى الشمس وهى تغرب ببطء أمام عينيه وقد سلم نفسه تماما للقدر والواجب ..

وكان جانب الجزيرة المواجه للبحر لا يختلف كثيرا عن الجانب الداخلى لها الا أنه كان أكثر انحدارا ، وكانت كتل الصخور



البركانية المكونة له ذات حوافٍ حادة كأنها الأمواس فضـــلاً عن النباتات الشوكية التي كانت تنمو على هذا الجانب بكثافة وتقدمت الفرقة الأرضية بثبات وتفكير وقد اصطف النصف الأول من رجالها على شاطىء البحر حتى حضر النصف الآخر من السفينة فاصطف خلفه .. وكان كل رجـــل يعرف عمله ، وهو الاندفاع على وجه الجزيرة محافظا على مكانه ، ومدققا فى كل حرش وفى كل حفرة بحثا عن الهارب .. واطمأن الضابط المنوط بالقيادة على أن كل شىء يسير على ما يرام واتخذ مكانه وسط خط الهجوم وأصـــدر أمره وبدأ الرجال فى تسلق الجزيرة .

ولكن ، واحسرتاه على النظام ومراعاة المحاذاة بين الجنود ، فقد تسببت صعوبة التسلق على وجه الجزيرة المواجه للبحر فى التقليل من سرعتهم الى أقصى درجة .. فلم يعتقد أحد أن التسلق على سفح الجزيرة سيكون بمثل هذه الصعوبة لكنهم لم يدركوا الأمر على حقيقته الا حينما وجدوا أنفسهم فى مواجهته .

أما حرارة الشمس الحارقة التى كانت تنبعث من الصخور فقد كانت من أقل الصعاب التى لاقوها .. واتحدت النباتات الشوكية والصخور البركانية المدببة لتدمى أياديهم وأقدامهم ، ففى النصف ساعة الأول نزف الدم من أقدام البعض ..وكان خط الهجوم المتعرج يتحرك ببطء شديد وأصيب الجميع بالعطش الشديد .. وحاول الضباط الغاضبون أن يكونوا قدوة حسنة لرجالهم فى الثبـــات والمثابرة وطبقا للأوامر المشددة فقد تمكن المهاجمون من الوصول الى سطح الجزيرة ، لكن ذلك حدث فى بطء شديد ربما أكثر بطئا مما لو قام كل رجل بالتقدم على حدة .

وقبل أن يهبط الليل بنحو ساعة أمر الضابط رجاله بأن يبذلوا كل ما فى وسعهم لزيادة سرعة التقدم على الجزيرة وغربت الشمس وراء الشفق القرمزى اللون ، وهبط الليل سريعا ، قبل أن تطلق

وصاصة واحدة على براون ، وقد انتشر مائتا بحار ألماني على سطح الجزيرة وسط الظلام الدامس ، وعلى الصخور التي تحطم الأقدام • وانتظر براون في صبر وعزيمة حتى تزداد الظلمة وكان خلال الظهيرة قد راح يتطلع الى أسفل القمة محاولا أن يجد لنفسه ممرا يسلكه حينما يتخلى عن مكانه الحالي وحينما حل الليل كان براون مستعدا كل الاستعداد فقد ربط يديه بأربطة قطعها من سترته وحزم متاعه حول جسده وكله عزم وتصميم •• وشعر بالغبطة لأن الفرقة الأرضية الألمانية لم تقبض عليه وتخطي الصخرة التي اتخذ منها قلعة له لاثنتي عشرة ساعة متجها الى أسفل وآلمت الصخور البركانية القاسية جسده ومزقت ثيابه وهو يرمي بنفسه عليها •• وتمزق حذاؤه وجرح جرحا عميقا •• وأحدثت النباتات الشوكية جروحا كثيرة في جسده تاركة آثارها كأنها مخالب نمر ••

وسرعان ما قطع براون مسافة مائة قدم أسفل السفح فوصل الى المكان الذي بدأ منه رحلته في الليلة الماضية وهناك وقع بصره على الجرحى من الفرقة الأرضية الأولى ذات القدر المشئوم •• وكان الجرحى يتأوهون في ألم طالبين الماء وكان براون على استعداد لأن يذهب اليهم راضيا فيمدهم بما يطلبون من ماء لكنه كان يعلم أن ذلك سيعطله عن تنفيذ واجبه •• ولذلك فقد أصم أذنيه عن تأوهاتهم الحزينة التي يرثى لها •• وعلى أي حال فقد مات الكثير من الجرحى في تلك الليلة •

ودنا براون بجسمه من المياه التي زادت من حدة جروحه وآلامه •• وشق طريقه في البحيرة بجوار الشاطىء •• وقد أخطأ الألمان في تطبيق مبدأ هام من مبادىء الحرب ، ألا وهو وجوب المناورة حول نقطة معينة ولذا فقد كان لزاما عليهم أن يعدوا العدة لأن يبقى براون في مكانه وذلك بحراسة الجبهة الأمامية التي استطاع براون الآن أن ينفذ منها •• وعلى أي حال فحينما حل الليل كان بمقدوره أن يسبح في البحيرة بقدر ما تسمح له قوته الجسمانية وقد سبح حقا لمسافة طويلة •• وأصبحت كل تحركات الفرقة الألمانية في

مؤخرة الجزيرة عديمة الجدوى ، وكل ضرباتهم انما هى ضربات فى الهواء طالما أن براون استطاع الهرب من طريقهم .

وسبح براون بثبات لمسافة خمسين ياردة حول البحيرة مبتعدا عن الشاطىء وعن السفينة وشاهد خلفه البحارة الألمان التعساء وهم يشقون طريقهم على الجزيرة بعناء وهم يتعثرون بين الصخور البركانية الحادة ..

وفجأة ضجت الجزيرة بجلبة سقوط البنادق وانحناء البحارة وتعثرهم بحثا عن مخبأ ، فقد أطلقت طلقة ولا يدرى أحد من أطلقها .. .. لكنه من المحتمل أن تكون قد أطلقت عفوا أو نتيجة لعثرة أحد الحمقى فليس غريبا أن تجد عديدا من الحمقى بين مائتى جندى .. وتردد صدى الطلقة فى أنحاء الظلمة .. وسمع براون صوت الطلقة وهو يسبح فى البحيرة فأصابته الدهشة .. وسرعان ما سرت عدوى هذه الطلقة بين الجميع الذين راحوا يحشون بنادقهم ، ولم تمض ثوان حتى انطلقت جميع البنادق . وتقافزت السحالى والمخلوقات الليلية فى خوف هنا وهناك فوق الصخور وبين الأحراش مما بث الرعب فى قلوب الرجال ، وحدثت بينهم جلبة عظيمة لم يقطعها سوى صفارات الضباط وصيحاتهم التى تأمر الرجال بوقف اطلاق النار ..

ولم يكن غريبا بالطبع ألا تصيب مئات الطلقات التى أطلقوها أحدا لكن الرجال على ظهر السفينة رحبوا ترحيبا عظيما بما حدث على سطح الجزيرة اعتقادا منهم بأن المجرم الهارب قد لقى حتفه .. غير أن هذا حدث فى الوقت الذى كان براون يشق فيه طريقه عبر البحيرة الى مكان من الشاطىء مواجه للجانب الأيمن للسفينة .. وعثر بشىء من الصعوبة على مكان يمكنه الخروج اليه فألقى بحزاميه بين أشجار التين الشوكى الكثيفة ثم ضم أسنانه فى عزم وبدأ يصعد القمة المنحدرة .

لكن جروحه وآلامه وتشقق قدميه قد تسبب فى التقليل من

نشاطه الى أقل درجة ، لكن التسلق كان أمرا محتما بالنسبة له اذا ماشاء أن يناور السفينة ليوم آخر • ويتحتم عليه أيضا أن يكون في مكان مرتفع حتى يصد مهاجميه القادمين من الشاطيء ويسيطر في ذات الوقت على ظهر السفينة ، كما أنه يجب أن يحتمى بصخرة يمكن أن تصد عنه الهجوم من اليمين ومن اليسار ، فهناك العشرات من حملة البنادق الذين سيضربون في الجزيرة بحثا عنه للقضاء عليه ••

وتسببت بندقيته وذخيرته في تعطيل حركته تعطيلا كبيرا ، وسال العرق من جسمه ، وتقلص وجهه من العناء في كل خطوة يخطوها •• وتركت يداه وقدماه آثارا دامية على الصخور التي تلمسها ورغم هذا فقد واصل نضاله تجـــاه القمة بحثا عن مكان مناسب •• ولم يتوصل الى هذا المكان الا بعد منتصف الليل بكثير وهناك ألقى بجسده فوق الصخور الحادة فاقد الوعي تقريبا •

وبعد نصف ساعة حاول فيها جاهدا أن يستعيد رشده استطاع أن يرفع جسده قليلا ويطل ببصره نحو السفينة التي كانت تطفو على سطح البحيرة وقد بدت ككتلة سوداء قابعة تحت الضوء الخافت منذرة اياه بالخطر ، وقد ظهرت على جانبها الأيمن بقعة من الضوء أكثر وضوحا ، وتناهت الى سمعه عبر المياه أصوات العاملين في اصلاح هذا الجانب ، الذين كانوا يعملون بحماسة في تركيب الألواح الجديدة محاولين تعويض الساعات الست التي تسبب براون في تأخيرهم اياها • وخـــلال الفجوات الموجودة في الستارة الخارجية استطاع براون أن يلمح بعض الأشخاص متشحين بستراتهم البيضاء، يتحركون هنا وهنـــاك ، وتأهب براون مستجمعا عزيمته مصوبا بندقيته للامام • لكنه كان يرتجف من كثرة مابذل من جهد ، ولم يكن واثقا من قدرته على اصابة الهدف فضلا عن أن طلقاته النارية ستشي بمكانه بوضوح وذلك بسبب ظلمة الليل المحيطة به •• ولمـــا كان براون على علم بأن أعداءه ليسوا على مبعدة منه فانه لم يجرؤ على الأقدام على اطلاق النار دون أن يوفر لنفسه خط رجعة سليما وكان ذلك بدافع من تقديره لواجبه وليس حرصا على حياته ••

وبفهم براون بما له من دراية حربية كل الاعتبارات المتعلقة بهذا الامر فى الوقت الذى كانت خلايا جسده تنبض بالعذاب ووصل فى النهاية الى قرار سليم ، فوضع بندقيته جانبا وتهالك عليها فى سبات عميق دون أن يستقر جسده في وضع مريح • ولا يدرى أحد متى أدركه النوم أو الاغماء أو كلاهما فى الوقت الذى كان فيه رجال الفرقة الأرضية الذين يبلغون مائتى رجل يتعثرون فى طريقهم على سطح الجزيرة محاولين مسحها بينما تنطلق فى بعض الأحيان طلقة طائشة أو طلقتين حينما لاتقوى أعصاب الرجال المجهدين على تحمل العناء •

## الفصل الحادى عشر

واستيقظ براون ، أو قل أنه ثاب الى رشده فى اللحظة التى بدأت فيها خيوط الفجر المضيئة تنتشر عبر السماء •• وكان أول ما فعله هو أن شرب قليلا من الماء المتبقى فى زجاجته الثانية ، اذ لم تتح له شفتاه المشققتان أو فمه الذى امتلأ بالأتربة البركانية فرصة للتفكير فى عمل أى شىء آخر •• ثم راح يتأكد من مكانه ومركزه •• ومن خلال أحـــد الثقوب استطاع أن يلمح عـــددا من الرجال فى ستراتهم البيضاء يتقدمون من قمة الجزيرة ، على مبعدة ربع ميل منه •

وعلى الجانب الآخر من الجزيرة ، بالقرب من مكانه القديم ، لمح عددا آخر من الرجال منتشرين هنا وهنـــاك ، وهم لايزالون يحاولون تنفيذ تلك الأوامر الغريبة التى صدرت اليهم بمسح الجزيرة مسحا دقيقا ولم ير براون شيئا على بقية الجزيرة لكنه كان قادرا على التخمين تخمينا صائبا .. فقد كان الرجال منتشرين على سطح الجزيرة هنا وهناك ، بعضهم لا يزال يناضل فى طريقه ، وبعضهم يعالج جراحه ، وبعضهم قد استلقى فى اغفاءة ، أو راح يؤدى واجبه فى تهاون وتكاسل ، وهم لا يشعرون بأية رقابـــة عليهم •

وقبع براون فى مخبئه مرة ثانية ، وكان فى مأمن كبير من أن تقع عليه عين ، فقد كان محتجبا عن الأنظار من كل نقطة على الجزيرة تقريبا •

أما السفينة فقد ظهرت أمامه بكامل هيئتها ، وقد غلف الجزء المحطم بنوع من الستائر بدت كأنها صندوق ركب بجانب السفينة •• ومن خلال احدى الفجوات كان براون يلمح شبحا أبيض يظهر تارة ويختفى أخرى رغم أن جلبة المطارق كانت قد توقفت • وكانت

الألواح المحطمة قد أزيلت ، وكانت العملية التالية هى انزال الألواح الجديدة من ظهر السفينة كى تحل محلها ٠

وقد تطلب هذا رفع جزء من الستارة الواقية ونتيجة لأن براون قد توقف عن اطلاق النار لمدة خمس عشرة ساعة تقريبا فقد حل بعض الاهمال ، فضلا عن أن كل الرجال على ظهر السفينة كانوا على يقين من أن الفرقة الأرضية قد قضت على براون منذ وقت طويل ٠

ونظف براون بندقيته بالزيت وحشاها ، وراح يرقب باهتمام الفجوة التى أحدثها رفع جزء من الستارة الواقية وانتظر اللحظة المناسبة تماما ثم أطلق النار مرتين ، وبسرعة ، فأردى رجلين قتيلين ٠٠ وحتى يستغل المفاجأة أحسن استغلال ، فقد استمر فى اطلاق النار على الستارة ، وهو يبعثر طلقاته هنا وهناك عبر الستارة ، وأعـلاها وأسفلها فأصـــاب رجلين آخرين وبث الرعب فى قلوب الآخرين ، فى اللحظة التى تدلى فيها على جانب السفينة لوح من الصلب يزن عشرة أطنـــان ، ووجد براون أنه لا جدوى من اطلاق النار عليه ٠

وأثار الحادث بما نتج عنه من قتلى وجرحى ثورة السفينة بمن عليها ، ثورة لم تحدث من قبل ٠٠ وجن جنون البحارة لموت المزيد من أصدقائهم ، وصبوا جام غضبهم على الفرقة الأرضية التى فشلت فى مهمتها فشلا ذريعا ٠٠ وأطلق القبطان فون لوتز اشاراته عن طريق « السمافور » تلك الاشارات التى تلقاها قائد الفرقة الأرضية التعس وهو على سطح الجزيرة بعينين زائغتين اثر ليلة طويلة من السهاد والعمل المحموم ، وقد تلقاها وهو حزين النفس مكتئب الى أقصى درجات الاكتئاب ، وكانت الاشارات تنادى القـــائد بأن يبلغ السفينة بما أنجزه ٠٠ وكان موقفا عصيبا لو تعرض له ضابط يابانى لانتحر ، أما الضابط الألمانى فقد استجمع كل ما قد بقى لديه من نشاط وقوة وشق طريقه حول الجزيرة بحثا عن المكان الذى يختبىء به براون ٠

وتوقف العمل على السفينة مؤقتا ، وكان ذلك نصرا جديدا لبراون .. ولقى عدد كبير من البحارة المهرة حتفهم فى خـــلال الفترات التى كان براون يطلق فيها النار على الستارة الواقية .. ولم يستطع القبطان أن يطلب من بقية رجاله على السفينة أن يصدوا طلقات براون فقد كانوا يجهلون مكانه تماما .. ولذا فقد قرر أن يدير السفينة بعيدا عن نقطـــة الهجوم ، غـــير أن محاولة عكس وضع سفينة حربية يبلغ طولها نحو خمسمائة قدم فى بحيرة مملوءة بالدوامات التى يحدثها المد والجزر ، انما هى محاولة بالغة الصعوبة تتطلب وقتا كبيرا ، فذلك يتطلب رفع مراسى السفينة ثم ادارة محركاتها ببطء لبعض الوقت ثم القاء المراسى مرة ثانية ، علما بأنه نادرا ما يمكن الوصول الى مكان تستقر عليه المراسى فى تلك البحيرة ذات الأغوار السحيقة .. وعلى أى حال ، ففى غضون ساعة تقريبا تمت عملية الارساء الجـديدة كما استؤنف العمل فى تركيب الألواح الجديدة على جانب السفينة المحطم .. وتناهت الى سمع براون جلبة العمل ، فأدرك أن فترة التأخير التى أرادها للسفينة قد دنت من نهايتها .

أما رجال الفرقة الأرضية فقد بلغوا ذروة الغضب والسخط وأدرك قائد الفرقة أنه من العسير أن تتقدم أية قوة مهما كان نوعها على طول الجزيرة فقد تبعثر رجاله الذين يبلغ عددهم مائتين على مسافة ميل تقريبا من أرض بالغة الصعوبة .

وقفزت أمامه فجأة مشكلة المؤونة فأضافت عبئا جديدا على أعبائه المتراكمة .. فقد هبط كل رجل على الجزيرة وهو يحمل زاد يومين من الماء ، وقد أجهدوا أنفسهم فى العمل اجهادا عظيما لفترة أربع وعشرين ساعة . وقد استنفد تسعون فى المائة منهم كل ما لديهم من ماء قبل انقضاء هذه الفترة بساعات عـــديدة .. وكانت الشمس الاستوائيـــة ترتفع فى كبد السماء رويدا رويدا فتزيد من عطشهم . وبعث القائد الحزين الى القبطان باشارة يبلغه فيها بأنه لايقوى على التحرك على الجزيرة دون ماء . ورد عليه القبطان ردا صارما لكن القائد تحت الحاح الحاجة الماسه اصر على

طلبه فأرسل له القبطان الماء من مؤخرة الجزيرة ، مصحوبا بأوامر مشددة بعدم العودة الا ببراون ، حيا أو ميتا ..

وكان الوضع المعنوى خطيرا ، بحيث لا يسمح لأى قبطان أن يفكر فى القيام برحلة طويلة وبحارته فى مثل هذه الحالة المعنوية ، فقد قتل وجرح أربعة وثلاثون رجلا ، وأحدث ذلك قلقا واضطرابا عظيمين فى الوقت الذى يتحتم فيه حفظ النظام من أجل الاستمرار فى الرحلة بكل توقعاتها . ووزن القبطان فون لوتز كل أبعاد الموقف وقرر فى النهاية أنه يجب القضاء على براون .

وعلى هذا فقد أرسل الماء للفرقة الأرضية وبدأ القائد فى توزيعه على رجاله المتناثرين فى أرجاء الجزيرة وكان ذلك أمرا عسيرا . وعند الظهيرة كان كل شيء معدا للتحرك على الجزيرة من جديد ، فى الوقت الذى تم فيه اصلاح السفينة وأصبحت على استعداد لمغادرة الجزيرة ، وتعهد براون على نفسه بتأخيرها مزيدا من الوقت . أما قائد الفرقة الأرضية فقد كان يعمل بكل طاقته ، فبعث بكل المصابين من رجاله ممن أصابتهم ضربة الشمس أو كسرت كواحلهم أو جرحت أقدامهم ، الى أسفل السفح حيث ارتدت الفرقة الأرضية الأولى وهناك لقى الرجال الذين أصابهم براون فى اليوم السابق الاهتمام والماء بعد انتظار طويل .. وأعيد الموتى والجرحى الى السفينة للقيام باجراءات الرعاية والدفن اللازمة لهم . ولكن هذا حدث فى الخط الخلفى للهجوم ، أما الخط الأمامى فقد تقدم نحو قمة الجزيرة ، بينما أعد قارب ملىء بالبحارة للانطلاق الى أى مكان قد تستدعى الحاجة انطلاقه اليه ، وهبط عدد آخر من البحارة أمام مدخل البحيرة لمنع أية محاولة قد يقوم بها براون لتفادى الهجوم .

وحينما حل الليل كان الرجال لا يزالون متورطين تماما بين شقوق الجزيرة الصخرية أما براون فكان يستقر فى مخبئه خلف الصخور يعذبه الظمأ ، وهو يمسح شفتيه المشققتين بلسانه الجاف ، وقد تملك الألم من يديه وقدميه ، والحشرات الخبيثة تلدغ كل مكان فى جسده ، لكنه مع كل هذا ، لم يفكر فى الاستسلام لحظة واحدة ، بل ان ذلك لم يخطر له مطلقا ..

## الفصل الثاني عشر

استلقى الهر هانز شميدت ، في غرفة نومه في « بنما » ، وقد راح في نوم هادىء عميق .. كان يرقد على ظهره ، وحينما آوى الى فراشه كانت يداه معقودتان فوق بطنه ومع مرور الوقت تحركت اليدان حتى وصلتا الى صدره فبدا على مظهره الهدوء والاستسلام . واستلقت زوجته بجواره في ذات الحالة من الهدوء والاستسلام ، فقد كان آل شميدت يؤمنون بالتقليد القديم الخاص باستعمال سرير مزدوج واحد ، بدلا من سريرين ، رغم حـــرارة الجو في المناطق الاستوائية .

وكان مؤكـــدا أن الهر شميدت قد استغرق في النوم نتيجة لاحساسه بأنه أدى واجبه على خير وجه ، فقد كان رئيسا لممثلي ألمانيا غير الرسميين على ساحل المحيط الهادى ، وقد أنجز كل عملياته حتى الآن بنجاح تام . وقد علم من مصادر خاطفة مبلغ قوة كتيبة أمير البحر « كرادوك » فأبلغ به فون سبى على الفور ، وقد ظهرت نتيجة ذلك بوضوح في موقعة « كورونيل » .. وكانت لديه في « جواياكيل » و « كالو » حاملات وقود معدة للابحار في أية لحظة ، وعلى هذا فانه اذا ما قرر فون سبى العودة شمالا تجاه « كورونيل » فسوف يجد وفرة من الوقود في انتظاره .

أما اذا تحولت تسيشن عن مسيرها على غير توقع فسوف تجد مثل هذا الاستقبال الطيب في انتظارها .. وكان العملاء الألمان في كل مكان ينشدون الأخبار هنا وهناك ويرسلون اليه بهـــا فيربط بينهـــا ثم يبلغها بدوره الى رجاله عبر المحيط . وقد بلغتـــه أنباء معركة السفينة الحربية البريطانية في جزر الهند الغربية كما كان على علم بكل سفن المراقبة المنتشرة في المحيط خشية أن تنطلق

المدمرات التجارية الألمانيـــة من الموانيء الأمريكيـــة على المحيط الأطلسى .

وأطلق التليفون بجانبه رنينا حادا فهب من رقدته مستيقظا .. وكانت زوجته تتمتم بجواره بكلام غير مفهوم وهى تجمع شـعرها المشعث بعيدا عن عينيها ، وأضاءت الحجرة فى الوقت الذى فتح فيه هو كلة السرير ومد يده حتى وصلت الى التليفـــون . وكان أول ما تطرق الى سمعه هو مجرد غمغمة لا معنى لها ، لكن الأمر لم يكن فى غاية الأهمية اذ غمغم هو الآخر باجابة مقتضبة ، وبعد أن تبادل كلمة السر مع عميـــله على الطرف الآخر ، راح ذلك العميل يصب أنباءه الجديدة فى أذنى الهرشميدت المرهفتين . لكن الأنباء كانت تحمل بين طياتها ما أزعج الهر شميدت وجعله يقفز من سريره فى دهشة :

ـ ماذا تقول ؟ أين هى الآن ؟..

وأجاب العميل قائلا :

ـ لقد كانوا يمرون بـ « جاتون » حينما حاولت الاتصال بك أول مرة ياسيدى ولا شك أنهم وصلوا الآن الى خليج « الكات » ..

وتساءل الهر شميدت فى صرامة :

ـ ولكن لماذا لم أبلغ بذلك فى حينه ؟

وهمهم الرجل همهمات خافتة وقال :

ـ اننى فى واقع الأمر لم أتمكن من ذلك ياسيدى ، فهـــذان الانجليزيان كانا فى أعقابنا دائما ، وقد خطفـــا « شولز » ، اننى واثق من هـــذا .. لقد حدثتك عنهمـــا كثيرا فيما مضى .. واننى ببساطة لم أستطع الاتصال بـ « بنما » من قبل فالخطوط التليفونية مشغولة دائما بشكل كبير ..

وانفجر الهر شميدت صائحا :

ـ هراء .. انكم عصابة من الجبناء ، بل انكم لأسوأ من هذا أو تقول انك لا تعلم حتى اسم البارجة الحربية ؟.

ـ كلا ياسيدى ، فلم أستطع الحصول عليه ، لكنى واثق من أنها بارجة حربية ، وتزن عشرين ألف طن ، أما البارجة الصغيرة فاسمها « بنزانس » ..

وقال شميدت ثائرا :

ـ فلتحصل لى على اسم الأخرى حالا ، وكل ما يتعلق بها من معلومات : من أى مكان قدمت ، وما غرضها ؟ أما اذا لم تستطع القيام بذلك وأنت فى « جاتون » فلن أدفع لك شيئا بعد اليوم .. ولتتصل بى فى غضون ساعتين ..

وألقى بسماعة التليفون بعنف ، واندفع من سريره ، ووضع نظارته السميكة المستديرة على عينيه بيد بينما تناول بالأخرى سرواله ، وارتدى ملابسه بسرعة ، وغمغم لزوجته بكلمات غير واضحة ثم خرج من المنزل متجها الى « الجراج » ، وبعد ثلاث دقائق ، وتحت ضوء الفجر الخابى ، انطلق بسيارته خارجا من « بنما » ، وقد أضاء مصباحيها الكبيرين اللذين كانا يبعثان بأشعتهما القوية ، بينما انحنى شميدت بجسده البدين على عجلة القيادة ممسكا اياها بذراعيه الكبيرتين الكثيفتى الشعر . وخرج من « بنما » ، وسيارته تقطع الطريق الزراعى الملىء بالمطبات والحفر بسرعة جنونية . ومرق عبر آثار « بنما » القديمة واستمر فى السير حتى تضاءل الطريق فأصبح مجرد ممر ضيق فى المكان الذى ترتبط فيه منطقة القناة بجمهورية بنما .. ونطلبت قيادة السيارة على هذا الممر الضيق يدا ثابتة وذراعا قوية ، ولكن هانز شميدت كان سائقا ماهرا . وانحرف جانبا على ممر أكثر ضيقا حيث مادت الأرض تحت عجلات سيارته التى شقت طريقها نحو التل وقدم شميدت الثابتة مستقرة على « اكسلاتير » السيارة ، حتى انتهى به الممر فى النهاية الى قطعة أرض مهجورة تقريبا عليها مبنى عال أصابه التهدم قليلا ويظهر فناؤه بعض الدلائل على أنه كان مشغولا ببعض الناس منذ وقت قريب . وأوقف الهر شميدت سيارته وقفز منها بخفة غير متوقعة منه ، واندفع الى داخل المبنى وراح يصعد السلالم الحجرية المتهدمة .

وكانت الحجرة العلوية لذلك البرج مؤثثة على أحدث طراز ، وينطبق هذا على أهم ما فى الحجرة من أجهزة ، فقد كانت تحتوى على أقوى جهاز لاسلكى للارسال والاستقبال • وقد كان ذلك البرج المتهدم هو المخبأ السرى للمخابرات الألمانية فى المحيط لهادى ، وكان منذ قرنين ونصف قرن قلعة استولى عليها بعض لقراصنة واتخذوها مركزا لأعمالهم •• وفى أحد جوانب الحجرة استلقى شاب على سرير بسيط ، وهو نصف نائم وأمام جهاز اللاسلكى جلس شاب آخر وهو يضع السماعات على أذنيه • ونظر كلاهما الى الهر شميدت لحظة دخوله لكنه قابلهما بقليل من الترحيب ، وأشار عليهما بالخروج فنهض الاثنان كى ينفذا أمره •• وقدم له الشاب الذى كان يجلس أمام جهاز اللاسلكى مجموعة من الأوراق المسجلة عليها البرقيات التى تلقاها أخيرا ، وكانت برقيات مختلفة بعضها واضحة وبعضها بالشفرة وبعضها عسكرية والأخرى تجارية ، لكن شميدت ألقى بها جانبا بعد أن تصفحها تصفحا سريعا وقال لهما :

ـ أخرجا بسرعة ••

وخرجا يتعثران فى مشيتهما ، بينما رمى شميدت بنفسه على مقعد أمام جهاز اللاسلكى وبدأ يدير صماماته بيديه الغليظتين ، استعدادا لارسال برقية استدعاء عام لكل البوارج الألمانية فى المحيط • تلك البرقية التى ستستقبلها المحطات الثانوية فى « كالو » وفى « فالباريزو » ثم تذيعها بدورها •• وسوف يستقبلها القبطان فون سبى على ساحل « شيلى » وستستقبلها السفينة تسيتن التائهة فى مكان ما فى المحيط الهادى • وراح شميدت يرسل برقيته مرة تلو أخرى لساعات كاملة والعرق يتصبب من لحيته الطويلة لقد كانت برقية لا يمكن أن يعهد بها الى صغار موظفيه •

لقد فهم الهر شميدت مما وصلت اليه من أنباء أن البحرية البريطانية سوف توجه ضربة قوية الى كتيبة فون سبى ، ولن تستعمل فى ذلك سفنا صغيرة أو بوارج حربية ذات طراز قديم ،

فقد زودت البحرية بقوة جديدة ، اذ أصبح اللورد فيشر أمير البحر قائدا عاما للبحرية بعد كارثة « كورونيل » .. وقد قرر مطاردة فون سبى والقضاء عليه على أن تقوم بهذه المهمة أقوى البوارج الحربية البريطانية . ووضعت الخطة بأن يقوم أمير البحر «ستوردى» من انجلترا على رأس حملة مكونة من السفينتين « انفنسيبل » و « انفلكسيبل » بالاضافة الى اثنتى عشرة بارجة حربية حديثة الطراز ، كى يقوم بعملية مسح شامل للمحيط الهادى لكن هذا الجزء من الخطة لم يكن معلوما للهر شميدت ولا لأى قائد ألمانى حتى وقع بصر كل من فون سبى وفولكلاند على البوارج البريطانية فأدركوا أن موتهم قد حان . وأولى شميدت اهتمامه الأكبر حينئذ بعملية المسح التى ستقوم بها السفن البريطانية جنوب المحيط الهادى .

وكانت السفينة البريطانية « ليوبارد » مستوطنة فى جزر الهند الغربية لمدة ثلاثة أسابيع ، ومن هناك كانت تترقب قدوم فون سبى أو أية قوة من قواته التى قد تعبر قناة بنما ، كما كانت مهمتها مقابلة أية محاولة يمكن أن يقوم بها الألمان للتحرك شمالا تجاه خليج الهورن .. لكن تلك السياسة الدفاعية لم ترق للقيادة الجديدة ، فقد ارتأت أن تقوم « ليوبارد » بدور فعلى ، فتعبر قناة بنما بدلا من أن تنتظر من الألمان أن يفعلوا ذلك ، وتبحث عن عدوها بدلا من أن تنتظر لقاءه فى سلبية .. وكانت تلك هى الاستراتيجية الحقيقية والحاسمة .. وصدرت الأوامر الى « ليوبارد » بذلك فى ذات اليوم الذى صدرت فيه الأوامر الى أمير البحر « ستوردى » .

وعلى هذا فقد تركت « ليوبارد » جزر الهند الغربية ، ترافقها البارجة الحربية الصغيرة « بنزانس » ، التى تعرف عليها العملاء الألمان وعبرت السفينتان قناة بنما وكان هذا يعنى النهاية المحققة لأية سفينة ألمانية فى المحيط .. غير أن شميدت واصل أداء واجبه على خير وجه وأصابعه القوية تعيد ارسال البرقية كل نصف ساعة .

## « الفصل الثالث عشر

وقضى ألبرت براون ليلة عصيبة ، فقبل أن يحل الصباح كان الماء قد نفد منه ، واحتل عطشه كل تفكيره ، وأدى به الجوع الى تناول بعض ما معه من معلبـــات مما زاد من عطشه •• وأدرك من انقطاع الجلبة على ظهر السفينة أنه قد تم اصلاحها ، لكنه رأى أنه طالما كانت هناك فرقة أرضية على الشاطىء فان عليه أن يستمر في القتـــال كي يشغلها وبذلك يؤخر وجود تسيئن على جزيرة رزليوشن لفترة أطول •• وتغلب على عطشه وراح يغفو بين لحظة وأخرى في نوم متقطع كان يستيقظ منه فزعا في كل مرة ، على الجلبة التى تحدثها الفرقة الأرضية فتفسد بها سكون الليل •

وانه لمن الصعب تخيل الحـــالة التى كان عليها سطح جزيرة رزليوشن • انها مساحة شاسعة من الطين معرضة للشمس بصفة دائمة فأصابها التشقق فى كل مكان وهذا ما حدث تماما بالنسبة للصخور البركانية التى تتكون منها الجزيرة ، أما عن تلك الشقوق فان عمقها يختلف مابين قدم واحد وعشرة أقدام ، وهى ذات حواف كأنها السكاكين القاطعة •• هذا فضـــلا عن أن منحدرات الجزيرة تكاد أن تكون عمودية ، وقد غطاها التين الشـــوكى مما يجعل من العسير تماما أن يشق المرء طريقه عليها فى ظلمة الليل خاصة وان كان يكاد أن يموت ظمأ فى ليلة حارة •

وحينما حل الصباح ، وكان براون لايزال على قيد الحيـاة ، ولم يعثر عليـــه أعداؤه الذين فوجئوا بهذه الحقيقـــة عن طريق رصاصتين أطلقهما براون تجاه السفينة فكادتا أن تصيبا الضابط المنوط بالحراسة ، تحول البشر والمرح اللذان انتشرا فوق السفينة الى موجة من السخط والهياج •• وتعرض قائد السفينة لسخرية

شديدة نتيجة لهذا الفشل ، فتدخل القبطان لوتز فى الأمر وأرسل فجاة حمسين رجلا للقيام بعمليه هجوم مفاجىء على المكان الذى اعتقد بأن براون يختفي فيه ٠٠ وجاء تقديره على بعد مائة ياردة من مكان براون الفعلى ، وكان هذا تقديرا بارعا اذا ما اعتبرنا أنه بناء على مجرد سماعه لصدى طلقات بندقية براون ٠

ولمح براون اقتراب القوارب فسدد بندقيته نحوها لكنه الآن وقد اصطكت أسنانه وارتعشت يداه من الحمى ، لم يعد قادرا حتى على ان يصوب تصويبا متوسطا ٠٠ وحينما لم يعد قادرا على التصويب وراحت رصاصاته الباقيه تفلت منه الواحدة بعد الأخرى دونما نتيجة أدرك أن منيته قد قاربته ٠ غير أن براون استمر فى اطلاق النار وربما عن طريق الصدفة المحضة وحدها كان بعض الرجال يسقطون الواحد تلو الآخر وقد أصابتهم طلقاته الطائشة لكنها كانت حالات بسيطة لم توقف تقدم القوارب التى اندفعت الى أسفل الجزيرة حيث قفز بحارتها تجاه السفح ، فتناثرت هنا وهناك السحالى البحرية التى كانت تتغذى على عشب البحر في هدوء غير عابئة بوطيس المعركة الحامية التى يتردد صداها فوق الجزيرة ٠

وحتى على مبعدة مائة ياردة كان براون لا يزال بعد غير قادر على اجادة التصويب اذ أصاب رجلين بعد خمس طلقات ، وحينما مد يده الى حقيبته ليخرج المزيد من الطلقات لم يجد سوى ما يملأ خزان بندقيته لمرتين فقط ٠٠ وأدرك أنه لن يستطيع بهذا القدر الضئيل من الطلقات أن يصد ذلك الهجوم القريب ٠ وأدرك أنه قد وقع أخيرا فى قبضة الموت ٠٠

وانفرجت شفتاه المتشققتان الداكنتان عن أسنان بيضاء ناصعة واستجمع قواه المهدودة للمرة الأخيرة وسيطر على أطرافه الضعيفة المرتعشة ، وحاول أن يطلق النار على مهاجميه واحدا واحدا ٠٠

وسقط منهم الكثيرون ، لاسيما بسبب صعوبة الصعود ٠٠ وكما حدث من قبل كمن المتسلقون فى الثقوب والفجوات بعد أن كونوا فكرة عامة عن المكان الذى يحتله براون اعتمادا على مصدر صوت اطلاق النار ، وبدءوا فى اطلاق النار عليه .. مرة أخرى سمع

براون الصوت الحاد لرصاصة انطلقت بجانبه تماما ، ومرة أخرى تطايرت هنا وهناك حفنات من التراب البر تالى حيث اصطدمت الطلقات •• ولم يكن براون فى مكان يستطيع أن يسيطر منه على الموقف أو أن يلمح الكتل الصخرية التى يحتمى وراءها مهاجموه ، غير أنه كان يلمح بين حين وآخر أجزاء صغيره من أجسامهم تلك الأجزاء التى لم يكن باستطاعته وهو فى حالته تلك أن يصوب نحوها تصويبا دقيقا •• وأسقط رجلين آخرين ، لكن ذلك أيضا لم يعرقل تقدم أربعين رجلا آخرين كانوا يطلقون النار عليه •• وحينما ملأ خزان بندقيته بآخر مجموعة من الطلقات رأى ان يحتفظ بهذه المجموعة كى يستخدمها فى هجومهم الأخير عليه •• وزاد التصاقه بالصخور بقدر امكانه منتظرا نهايته فى صبر عظيم بينما كان وابل من الرصاص يدوى حوله •

وتقدموا منه بخطى واسعة وقد بث انقطاعه عن اطلاق النار الشجاعة فى قلوبهم وكانوا يسرفون فى الذخيرة بدرجة يدهش لها دون جدوى اللهم الا كانت الجلبة التى يحدثونها تبعث الحماسة فى قلوبهم • وأطل براون بطرف عينيه عبر الصخور فشاهد رجلين أو ثلاثة على مبعدة خمسين ياردة منه •• وأدرك أنه سرعان ما سيلمحه أحدهم فيقضى عليه • ولم يشعر بأى كره أو اعتراض سواء تجاه القدر أو تجاه الرجال الذين كانوا على وشك القضاء على حياته ، فقد فعل كل ما بوسعه •

غير أن المعركة توقفت فى تلك اللحظة اثر انطلاق عدد من صفارات الانذار على السفينة التى تدعو الجميع الى التجمع على ظهر السفينة •• وتردد المهاجمون لدقائق قليلة فقد كان من الصعب عليهم العودة بعد أن دنوا من النصر ، ولكن صفارات الانذار انطلقت مرة ثانية تصدر نداءات محمومة •• ولم يكن بمستطاع أحد أن يتصرف من تلقاء نفسه ضد تلك الأوامر المحددة والمتكررة ••وأطلق الضابط الذى يقود الفرقة الأرضية صفارته رغما عنه وعاد المهاجمون يهبطون السفح وهم يتعثرون عثرات خطرة ويشعرون بفشلهم الذريع فى انجاز مهمتهم •• ورآهم براون يعودون وفى هذه المرة

بذل مجهودا عظيما كي ينهض من مكانه قليلا ليطلق رصاصة اخترقت كتف الضابط قائد الفرقة ، وقد تسبب ذلك في تأخير تراجع المهاجمين لبعض الوقت حيث عادوا الى الضابط القتيل ، وراحوا يطلقون مزيدا من الرصاص على المكان الذي يقبع فيه براون ، غير أن صوت الصفارات كان يتعالى من وقت لآخر يطالبهم بالعودة الى السفينة .. وسقطوا في القوارب حاملين جرحاهم وموتاهم ،وشقوا طريقهم الى السفينة في بطء ..

ولم يكن تراجع الفرقة الأرضية عن الجزيرة هو الذي استغرق وقتا طويلا بقدر ما استغرقه عودة العديد من الرجال الذين تناثروا في مختلف أرجاء الجزيرة لنحو أربع وعشرين ساعة ، وقد فقدوا معنوياتهم وحل بهم التعب فخرجوا عن النظام ، كما استلقى الكسلى منهم في بعض الحفر وغرقوا في سبات عميق .. وتحت حر الظهيرة اللافح كان حتى أكثر الرجال جرأة وشجاعة يجرون أذيال الهريمة وقد تحطمت معنوياتهم ، فراحوا يسيرون بلا هدى ، حتى أن بعضهم كان يسير في اتجاه مخالف تماما لما يرجو القائد . وكانت الصخور التي أوقدتها حرارة الشمس كفيلة بحرق أية يد يمكن أن تمتد اليها مما يثبط من عزيمتهم ، أما الذين كانوا يشقون طريقهم للأمام في ثقة وشجاعة فسرعان ما كانوا يتباطئون حينما يدركون أنهم هزموا جميعا على يد رجل واحد . وكان القائد يرقب عملية وصول الرجال الى السفينة بصبر نافد اذ كانت تتم ببطء شديد رغم النداءات المتعالية التي تطلقها صفارات الانذار .

وعلى مبعدة خمسين ياردة شاهد القائد البحار « موللر » يتلكأ في طريقه الى السفينة ، فصاح فيه آمرا اياه بالاسراع غير أن ذلك البحار أجاب بكلمات غير مفهومة وواصل سيره ، فقد كان يسلك طريقا أقل وعورة مما حدا به الى الابتعاد مرة ثانية عن مرأى القائد .. وعلى بعد مائة ياردة منه توقف عن السير ليستريح قليلا ، وجلس تحت ظل منبعث من احدى الصخور البركانية ، اذ كانت الشمس حينئذ قد مالت نحو المغيب . ومسح وجهه ، وخطر له أنه يكاد يموت عطشا فهب واقفا وخياله يصور له مائة طريقة للحصول على الماء ، واستأنف السير وهو يجول ببصره هنا وهناك بلا

اهتمام ؛ وعلى مبعدة ربع ميل منه لمح شيئا لا هو بالصخور ولا بنبات التين الشوكي • وساوره الاعتقاد بأنه رأس أو كتف لرجل محتبيء خلف كتلة من الصخور البركانية يستطلع من هناك ما يدور على الجزيرة • وفي الحال استلقى مولل على وجهه وحشا بندقيته وصوبها ناحية ذلك الهدف الذى كانت الشمس الساطعة تظهره له تماما ، وأطلق النار •• وقبل أن يتيقن مما اذا كان قد أصاب هدفه أم لا ظهر أمامه فجأة أحد الضباط ، وصاح فيه أن ينهض على قدميه ويحمل بندقيته على كتفه ويستأنف عودته الى السفينة ، وأنذره بأن يستعد لتطبيق عقوبة السجن عليه بعد العودة الى السفينة لاطلاقه النار ومخالفته للأوامر التى دعته للاتجاه الى السفينة مباشرة ودون أى تأخير •

لكن تلك الطلقة الأخيرة التى انطلقت فى آخر ساعات النهار كانت قد أصابت هدفها واستقرت فى أعلى الجانب الأيمن لبراون وقد مزقت فى طريقها كتفه وضلعا من ضلوعه ، وأردته على ظهره فى الفجوة الذى يختبى بها ، وأصابته الطلقة فى البداية بحالة من التخدير وتحسس الجرح بيديه وأصابته الدهشة حينما أعادهما أمام عينيه فوجدهما تنزفان دما •• وما أن غربت الشمس حتى حل به الألم العظيم •

## الفصل الرابع عشر

بعد شروق الشمس مباشرة تلقت السفينة تشيثن أوامر جديدة من القائد العام الهر شميدت ، لكن رجالها كانوا في حالة بالغة الفوضى والاضطراب حتى أن رجال اللاسلكي لم يفهموا ما يقوله البرق • وأعلن ضابط اللاسلكي أنه يخمن أن تكون تلك الاشارات مبعوثة عن جهاز أمريكي لكنه لم يكتشف أن مرسلها هو القائد العام شميدت نفسه الا مؤخرا •• وعند الظهيرة استطاع القبطان لوتز أن يفسر البرقية التي كانت تحمل معلومات خطيرة تقول بأن بارجة حربية بريطانية قد عبرت قناة « بنما » الى المحيط الهادي بصحبة احدى السفن البريطانية • وما أن تأكد من ذلك لم يتوان عن اتخاذ قراراته ، فقد أدرك أن الموت يتعقبه وأصبح لزاما عليه أن يغادر مرفأه بأسرع وقت ويختفي عن الأنظار •• وأصدر أوامره العاجلة باستدعاء بقية رجال الفرقة الأرضية •

وتوالى قدوم الرجال من الجزيرة محملين بالمزيد من الجرحى والموتى مما أثار جنون هؤلاء الذين بقوا على السفينة ، غير أنه بحلول الليل كان لايزال هناك ما يقرب من مائة رجل ممن ضلوا طريقهم على منحدرات الجزيرة ذات الدروب المتشابكة المعقدة — وراح ضباط الصف يطلقون صفاراتهم ويصدرون أوامرهم خلال مكبرات الصوت في عتمة الليل لكن ذلك كله لم يجد كثيرا •• ومن وقت لآخر كانت تهبط مجموعة صغيرة أو شخص تائه عبر السفح تجاه القوارب ، ومع ذلك فقد مرت الساعات الواحدة تلو الأخرى دون أن يقل عدد الرجال الموجودين على الجزيرة كثيرا • واستشاط القبطان غضبا ، وكان بصدد الابحار دونهم غير أنه كان يدرك مافي ذلك من مجازفة فقد كان الاستغناء عن خمسين رجلا آخرين يعد أمرا خطيرا • ولذلك فلم يشأ أن يحمل نفسه مسئولية تركهم ، خاصة وأن ذلك كان يعني هلاكهم على جزيرة لا ماء فيها ولا حياة •

وانصرم الليل وحل الصباح ، وانتشر ضوء النهار على الجزيرة قبل ان يشق آخر رجل طريقه متعثرا من سطح الجزيرة بجساه القوارب . وعند الظهيرة فكت تسيشن مراسيها تاركة ذلك المكان الملعون الى البحر الفسيح ، وقد تحطمت معنويات بحارتها وثارت ثائرة ضباطها ، فلأول مرة تنعدم الكفاية الحربية الالمانيه ويختل النظام بين رجالها .. ورغم أن طبيعة الجزيرة القاسية كانت سببا في ذلك الا أن الكثيرين يرون أن جل الفضل في ذلك الانتصار بصرف النظر عن العوامل الطبيعية العارضة ، يعود الى البحار الأول البرت براون ، الذى جازف بتعريض نفسه لمواجهه سفينة حربية عظيمة ، والذى كان على يقين من أن هده المجازفة ستكلفه حياته ، وقد دفع هذا الثمن راضيا دونما أى آمل في مدح أو ثناء من أحد .

وكان يقينا أن براون فى طريقه الى الموت ، فقد أمضى اثر اصابته ليلة عانى فيها من صنوف العذاب ألوانا .. اذ داهمه الألم بعنف بعد أن تلاشت عنه حالة التخدير التى أصابته بها بداية الصدمة .. وانتابته حمى قوية ، فراح ينتفض بشدة من فرط الألم بطريقة ينفطر لها القلب كطفل يبذل جهده للتخلص من عذابه .. ورغم أنه قاسى من قبل من عناء العطش أهوالا فظيعة الا أن ذلك العناء لم يكن ليقارن بما يقاسيه الآن من عذاب .. وقد فقد وعيه فى تلك الليلة مرات عديدة كان يثوب فيها الى رشده ثانية على حين غرة وقد تملكه اعتقاد قوى بأن هناك قطرات من الماء فى احدى زجاجتيه ، وفى كل مرة من تلك المرات يلوى جذعه حتى تصل يده اليسرى اليهما ، ثم يفتحهما ، ويرفع كلا منهما الى شفتيه المتشققتين المتورمتين .. ولم يكلل ذلك المجهود المضنى بالنجاح سوى مرة واحدة ، تلك هى المرة الأولى ، حيث سالت قطرات قليلة من الماء البارد المنعش خلال عنق الزجاجة الى فمه الملتهب ، وبعدها انتهى كل شيء فلم تكن هناك قطرة واحدة فى أى من الزجاجتين رغم أمل براون العظيم فى ذلك .

وحينما مد براون يده اليسرى متحسسابها كتفهالجريح جالت براسه المتعب ذكرى ذلك الفتى الالمانى الذى أطلق عليه براون

الرصاص منذ يومين فأصابه في كتفه • واسترجع عقله الحزين
كيف سقط ذلك الفتى متحسسا كتفه كما يفعل براون الآن ••
وتذكر تقطيبة الألم التي لاحت على وجه الفتى الجميل ، ثم تذكر
كيف استلقى ذلك الفتى فيما بعد يعاني عذاب الشمس المحرقة
وهو يتأوه في وهن طلبا للماء ••

ورنت أصداء صرخاته الحزينة في أذني براون لوقت طويل حتى خطر له أن ينهض ويواسيه • وفي اللحظة التي خطر له فيها هذا الخاطر شعر بأن ذلك لن يكلفه جهدا كبيرا ، فقد هبطت عليه في ذات اللحظة قوة الهية حملته في الهواء برفق ، وقد حدث ذلك بسهولة حتى أن براون أصابته الدهشة لأنه لم يكتشف ذلك من قبل • وشعر بأنه يطفو في الهواء الى حيث يستلقي الفتى الألماني وقد انعكس ضوء الشمس على شعره الفاتح اللون ، فتناول يده وعندئذ فتح الفتى عينيه وابتسم ابتسامة مشرقة كأنها ابتسامة صديق •• وأحبه براون لأول وهلة لحلاوة عينيه الزرقاوين كعيون الأطفال •• ولبشرته التي أكسبتها الشمس لونا ذهبيا •• ورفعه براون ببساطة من يده وترك الاثنان ذلك المكان الصخري الموحش الى مكان آخر وارف الظلال واستدار الفتى ناحية براون وطلب منه شيئا ما ، فأومأ له براون قائلا : في الحال •• وذهب الاثنان الى سهل أخضر تنتصب فيه أشجار عالية ، ويشقه نهر صغير عميق صافي المياه ، يعكس خضرة الطبيعة الجميلة •• وشربا من الماء الذي كان باردا ومنعشا ، فغبا منه غبا •• ونظر كل منهما الى الآخر وغرقا في الضحك وقد شملتهما السعادة • وبعد ذلك نزلا الى أعماق الجدول الصافي حيث جرفهما التيار وهما يهزجان في المياه ، عاريين• وغمرهما جو لطيف مفعم بالحب والصداقة •

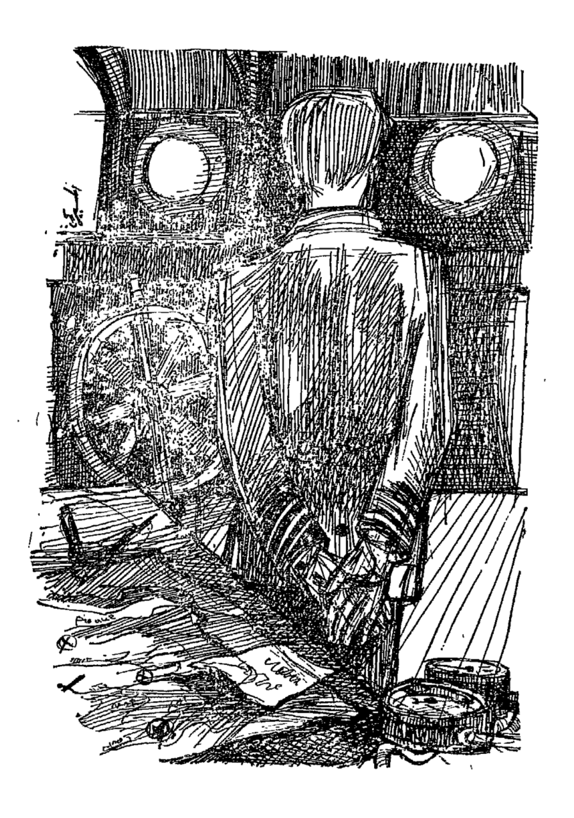
لكن براون حينما نظر مرة ثانية الى الفتى ذي الشعر الفاتح اللون وهو يبتسم له ، لم يبتسم الفتى ، بل تقلص وجهه من الألم وهدد براون بقبضاته وهو يحملق فيه بعينيه الموحشتين ، فتركه براون ليجد أن الماء البارد قد نضب من جوله تاركا اياه على قاع النهر الصخري ••• وانقلب الجو حارا مرة أخرى وآلمته الصخور

الحادة من تحته ، وتأوه بشدة فقد أدرك أن كتفه أيضـــا تؤلمه آلاما حادة .. وثاب براون الى رشده منتقلا بذلك الى عالم مظـلم ملىء بالعذاب والأسى والعطش الشنيع .

هاقد تخلت عنه اذن مباهج الحيـاة التى لم يعرف لها طعما ، ولربما لو قدر لبراون أن يموت في الثمانين من عمـــره فى حالة أفضل ، تاركا خلفه سجلا حافلا بالانتصارات الانسانية وترك له الاختيار قبل أن ينزل على جزيرة رزليوشن لاختار لنفسه ذات الحياة التى قضاها والتى سجلتها صفحات تلك الرواية والتى كان مؤكدا أن كثيرين من الناس سوف يختارونها له .

ولم يدق براون طعم النجاح الذى حققه ، فقد أسفرت جهوده في النهاية عن نتائج مذهلة .. وحينما ثاب الى رشده فى ذلك اليوم هش الذباب عن وجهه ، واستجمع قواه الخائرة حتى استند على حافة الصخرة وألقى نظرة الى البحر .. كانت المياه الزرقاء تتلألأ تحت ضوء الشمس وقد انعكست عليها قمم الجبال المجاورة فراحت ترقص أمام عينيه الزائغتين .. وعلى حافة المياه انهمكت السحـالى البحرية فى قرض الأعشاب ، تماما كما كانت تفعل السحالى البحرية منذ آلاف السنين .. وعلى البعد كانت طيور النورس تحلق فوق سطح الماء وتتوارى خلف ذلك الخط الرمادى الذى تتراءى للبصر عنده نهاية المحيط . أما عن الباخرة تسيثن فان براون لم ير منها شيئا ، فقد حجبت القمم العالية عن ناظريه غلالات الدخان المتصاعدة منها وهى تشق طريقها نحو الأفق البعيد .

كانت السفينة قد رحلت سالمة ، ولم تفلح مجهودات براون فى تأخيرها الا لمدة ثمان وأربعين ساعة وهى فترة بسيطة فى رحـــلة تستمر ستة شهور . وسقط براون بوجهه على الصخرة مرة ثانية قانطا محطم القلب وقد احتاحته آلام الحمى والعطش ، تلك الآلام التى أسلم بسببها الروح قبل نهاية اليوم .



## لفصل الخامس عشر

جلس القبطان ريتشارد سامارز في قمرته وحيدا ، يفكر في المشاكل التي تعرض لها نتيجة لتعليمات القيادة البحرية الصارمة ، وقد وضع أمامه خريطة بين عليها الأماكن التي يحتمل ظهور فون سبي فيها .. وقد سبب عبوره قنـاة بنمـا على رأس السفينة « ليوبارد » وبصحبة البـارجة الحربية « بنزانس » كثيرا من التساؤلات والاعتراضات واستغرق سامارز في تفكير عميق محاولا استخدام كل ما لديه من خيـال .. وكان سامارز يدرك أنه من الرجال المحظوظين في القوات البحرية ، فهو الآن قائد لبـارجة حربية وهو ما يطمح اليه أمثاله من منصب ، فضلا عن أنه موكل بقيادة بارجة أخرى « بنزانس » .

وابتسم سامارز وهو يستعيد في ذاكرته كل الأسباب التي لم تهيىء للسفينة « ليوبارد » فرصة الحصول على قائد برتبة « أمير بحر » .. أن عديدا من أمراء البحر كانوا على استعداد لقبول الفرصة مسرورين لو تغيرت الظروف قليلا .. وربما لو كان ذلك قد حدث لتوج أمير البحر المنوط بقيـادة « ليوبارد » بكل نصر تحققه السفينة ، ووجد القبطان سامارز نفسه مرغما على الرضا بالاشارات العابرة التي ترد عنه في التقارير الرسمية .

غير أنه في الوقت الذي يحصـل فيه أمير البحر على جائزة انتصاره فانه يتحمل مسئولية فشله .. وفي حالة عدم وجود أمير للبحر فان المسئولية كلها تقع على قبطان السفينة ، وهـذا ما كان يقلق القبطان سامارز .

لقد أعطته التعليمات مطلق الحرية وكان عليه أن يطارد فون سبي وكتيبته متعاونا في ذلك مع الضباط الآخرين المجاورين له

فى المنطقة . وكان القيد الوحيد بالنسبة له هو المحافظة على « ليوبارد » وعدم تعريضها للدمار ، فان تحطيم بارجة عظيمة كتلك لا يساوى تحطيم بارجة حربية اخرى اقل منها شأنا .. لكن هذا القيد ظهر طبيعيا أمام هيئة الضباط الذين رءوا أن سرعة« ليوبارد» تزيد على سرعة بوارج فون سبى بأربع عقدات على الأقل ، كما أن مرمى مدافعها يفوق مرمى مدافع فون سبى بنحو ميلين أو أكثر ولكن ليوبارد اذا ما التقت وحدها ببوارج فون سبى الثلاث — « شانهورست وجنايزناو وتسيشن » — فان الأمور قد لا تصبح سهلة كما يبدو .. فلربما تقترب اثنتان منهما فى الوقت الذى يضرب هو فيه البارجة الثالثة ، وقد تنتشر حوله البوارج الثلاث ، وربما يحالفه الحظ بضرب احداها لكن الاخرتين قد تطلقان قنابلهما عليه .. كما أن بنزانس أيضا معرضة للضرب وسيكون هذا فشلا عظيما يتعرض سامارز لنتيجته .

وعلى هذا فان حدوث أية معركة يتطلب حرصا شديدا وكان هذا سببا من أسباب قلق القبطان .. وكان من العسير الحصول على فون سبى فى تلك الرقعة الواسعة من المحيط ، فلربما شق طريقه عبر خليج « الهورن » عائدا الى بلاده عبر المحيط الأطلسى وربما قد قطع نصف المسافة فى رحلة العودة تلك حتى قبل أن تصدر الأوامر الى « ليوبارد » بالتحرك ، وربما يعود الى الشمال مرة ثانية ويستولى على قناة بنما ويكون هذا هو الدمار الحقيقى للقبطان سامارز .. وأدرك القبطان انه فى حاجة الى كل ما لديه من فطنة وادراك حتى يستطيع لقاء العدو .. وأدرك أيضا أن ما سيخلد اسمه بين الناس هو اغراق سفينة أو سفينتين المانيتين ، وحينئذ يحال الى التقاعد برتبة « أمير البحر » ويذكره الناس بأنه القبطان « سافيل سامارز » الذى قبض على فون سبى .

وتشاور مع قبطان بنزانس ، ولكنه احتفظ لنفسه بسلطة اتخاذ القرار النهائى .

ونظر الى الخريطة التى كانت تشير الى آخر مكان وصل اليه فون سبى وهو « فالباريزو » وتفهم مختلف الخطوط البحرية ،

وحاول أن يتقمص شخصية فون سبى ويفكر فيما كان سيفعله لو كان هو في مكانه ، والقى نظرة على آخر التقارير الواردة من العملاء السريين البريطانيين . لقد كان الفحم تحت تصرف الألمان في مختلف موانىء أمريكا الجنوبية على المحيط الهادى ، وهـذا يهيىء لفون سبى فرصة عظيمة للاتجاه شمالا عائدا الى بلاده .. وكانت غرفة اللاسلكى بالسفينة « ليوبارد » تستقبل باستمرار برقيات عاجلة بشفرة غير مفهومة ، ويبدو أنها كانت تحمل تحذيرات لفون سبى عن مطاردة سامارز له .. وهذا يحمل على الاعتقاد بأن العملاء الألمان يرون أن السفن الألمانية قريبة من هذا المكان .

لقد حارب فون سبى فى «كورونيل» ، ودخل الى « فالباريزو» بسفينتين حربيتين فقط هما « شارنهورست و جنايزناو » وكان هذا مؤكدا . وعلى ذلك فان سفينته الصغيرة تسيثن قد انفصلت عن زميلاتها قبل موقعة كورونيل .. فأين يمكن أن يكون قد بعث بها ؟ الى الشمال ؟ ان هذا غير محتمل .. أم الى الغرب الى المحيط الهندى ؟ فهذا هو أغلى الحقول جميعا ، لكن السفينة « ايمدن » كانت هناك من قبل وكان بمقدور الأسطول البريطانى مطاردة سفينتين بدلا من واحدة فضلا عن أن السفينة شريبدس كانت تسير فى هذا الخط ولم ترسل آية اشارات تفيد بأنها التقت بسفن المانية ، رغم أن هذا فى حد ذاته ليس دلبلا على أن تسيثن لم تسلك هـذا الخط ذاته .. أم أنه قد بعث بها جنوبا الى نيوزيلنده أو استراليا ؟ ربما فهذا أمر كبير الاحتمال ولكن الأمر حينئذ سيخرج عن اختصاص القبطان سامارز .

وافترض سامارز أن تسيثن لم ترسل الى أى مكان من هذه الأمكنة ، وأنها لا تزال قريبة من الساحل الأمريكى ، مختبئة فى مكان ما .. ربما اصطدمت بشىء أو حدث بآلاتها أى خلل . لقد كان أمرا غريبا حقا أنها لم تحارب فى كورونيل ولم يسمع بها بعد ذلك . والآن ، على افتراض أنها اصطدمت أو أنها فى حاجة الى اصلاح ، فأين يمكن لها ذلك ؟ لا شك أنها ستبحث عن مكان يمكن منه تبادل البرقيات اللاسلكية مع ننما . ونظر القبطان سامارز

الى الخريطة ، تماما كما فعل القبطان فون لوتز فى الأسبوع الماضى ووصل الى ذات النتيجة التى وصل اليها · فقد وجد أن سلسلة جزر الجالاباغوس هى أسلم موقع يمكن أن يتم فيه اصلاح السفينة ».

وبحث سامارز الأمر من كل وجوهه فوجد أن بامكان «ليوبارد» و « بنزانس » أن تقطعا مساحات أكبر لو انفصلتا كل منهما عن الأخرى .. ووجد أن بنزانس قادرة على حماية نفسها ، فأصدر أوامره بذلك ، وبينما كانت السفينتان تشقان طريقهما جنوبا عبر خليج بنما عرجت السفينة « بنزانس » قليلا تجاه الغرب ..وكان البحار الأول البرت براون فى هذه اللحظة فى حالة ظمأ شديد » ولم تصبه رصاصة موللر الا فى مساء ذلك اليوم ، فى الوقت الذى انحرفت فيه السفينتان كل عن الأخرى حتى اختفتا عن الأنظار ».

## الفصل السادس عشر

كتب نلسون ذات مرة يقول أن خمس دقائق يمكن أن تكون سببا فى الهزيمة أو النصر ، وهذا ما حدث بالنسبة لاكتشاف السفينة تسيثن ، اذ كان يمكن فى غضون خمس دقائق فقط أن تختفى عن الأنظار دون أن يكتشف أمرها . فلو انها غادرت جزيرة وزليوشن قبل مغادرتها لها بنصف ساعة فقط لعادت الى بلادها سالمة ، ولتغير تاريخ العالم - بالنسبة للوزارة البريطانية على الأقل - فحينما انفصلت « بنزانس » عن « ليوبارد » كى تتجه الى جزر الجالاباغوس ، فانها وصلت الى جزيرة وزليوشن من الجهة الشمالية الشرقية ، وكانت تسيثن قد بدأت تشق طريقها فى اتجاه الشمال الغربى تاركة الجزيرة . وفى اللحظة التى ظهرت فيها وزليوشن على مدى البصر لاحظ قبطان « بنزانس » آثارا من الدخان على مدى الأفق الغربى . وكان الدخان ظاهرة غير مألوفة فى هذا الركن المهجور فى العالم ، فاتجهت « بنزانس » نحوه بسرعتها التى تبلغ سبعا وعشرين عقدة ، وفى غضون نصف ساعة فقط كانت صورة تسيثن قد اتضحت تماما ، واختلج الأثير بما راحت بنزانس تذيعه من معلومات .

وعبثا حاولت تسيثن أن تشوه رسائل بنزانس فقد كانت ليوبارد على مبعدة مائة ميل فقط منها ، فضلا عن أن بنزانس كانت مجهزة بأحدث الآلات . وفى اللحظة التى التقطت فيها ليوبارد اشارات بنزانس ، شقت طريقها خلفها بأقصى سرعتها . وكان قبطان « بنزانس » على ادراك تام بواجبه ، فلم يشأ أن يتبادل اطلاق القذائف مع تسيثن فى الوقت الذى يدرك فيه أن هناك بارجة من كبرى البوارج الحربية على مقربة منه وفى طريقها اليه ،

وستتحمل عنه عبء الاشتباك مع تسيثن دون أى خطر . وكانت تسيثن أكبر حجما من بنزانس ومزودة بأسلحة كفيلة بتحطيمها ، أما بنزانس فقد كانت تمتاز على تسيثن بسرعتها فقط ، فراحت تناورها ، محجمة عن الدخول فى معركة معها ، « وليوبارد » تشق طريقها اليها بمدافعها عيار الاثنتى عشرة بوصة التى ستضع حدا للأمر . ولم يمر وقت طويل حتى تخلت تسيثن أيضا عن فكرة محاربة بنزانس فاستدارت جنوبا مطلقة العنان لسرعتها أملا فى الهرب .. وتعقبتها بنزانس ، فى الوقت الذى شعر فيه القبطان فون لوتز بطعم الهزيمة والفشل بكل ما فيهما من مرارة .. رجل واحد هو سبب هذه الكارثة .. رجل واحد مسلح ببندقية بسيطة يكاد يلحق الدمار بتسبثن نتيجة لما فعله .. واستعاد القبطان فون لوتز ذكرى الأيام الثلاثة التي قضاها على جزيرة رزليوشن .. ان تسيثن الآن على وشك الدمار الكامل ، وذلك لأن بحارا انجليزيا استطاع أن يؤخرها على الجزيرة لمدة ثمان وأربعين ساعة أكثر من المدة المطلوبة .. ولم يساوره الشك فى اقتراب نهايته ، فهو على علم بأن بارجتين حربيتين بريطانيتين قد عبرتا قناة بنما ، وها هى البارجة الصغرى تتعقبه وتناوره ، أما البارجة الكبرى فليست بعيدة عنه .. ولن تجد البارجة الكبرى اية صعوبة فى اتمام العمل الذى بدأه البرت براون وقدم حياته ثمنا له ..

وحينما حل الليل كانت ليوبارد لم تظهر فى الأفق بعد .. وكان على تسيثن أن تتصدى لعمليات بنزانس اما بالهرب منها واما بالاقتراب منها وضربها .. لكن الليـل كان صـافيا ، وتفوقت بنزانس على تسيثن فى سرعتها تفوقا كبيرا . وبعد ساعة من حلول الليل ارتفع القمر فى السماء . وكان من اليسير على بنزانس أن تقتفى أثر تسيثن فى الظـلام واستمرت المطاردة حتى منتصف الليـل حيث حلت النجـدة التى طال انتظارها . فقـد وصلت « ليوبارد » بمدافعها عيار اثنتى عشرة بوصة وسرعتها التى تبلغ أربعا وعشرين عقدة وتضاءلت فرص تسيثن المنكوبة فى الهرب .

وانطلقت السفن الثلاث خلال الليل تشق طريقها فى المحيط الهادى متجهه نحو الجنوب . ولم يكن للألمان أصدقاء فى هـذه المنطقة وعلى بعد الفى ميل منها ، فأدركوا الخطر العظيم المحدق بهم كأنه الموت الزوءام ، غير أن ذلك لم يثبط من عزيمتهم فرغم أن كل رجل على ظهر السفينة كان يدرك أن فى أعقابهم بارجة حربية كبيرة وأن أية محاولة لمقاومتها ستكون بلا جدوى الا أن اى كلمة عن الاستسلام لم تتردد بينهم ، ولم يكن أى واحد منهم يوافق على ذلك فلم يكن من صالح أسطولهم حديث العهد أن يقدم على مثل هذه الخطوة .. وعلى هذا فقد وجب على البحـارة الالمانيين أن يحاربوا حتى الموت ليصبحوا مثلا يحتذى به اخوانهم وكان على أربعمائة رجل أن يستشهدوا من أجل ذلك ، حتى يسجل التاريخ انهم استشهدوا عن رضا وايمان منهم .

ومع الخيوط الأولى للنهار أصدر القبطان سامارز أوامره بأن تقلل ليوبارد من سرعتها التى بلغت تسع عشرة عقدة والتى كانت تشق بها عباب البحر منذ ارتباطها بالسفينة بنزانس ، فقد وجد أنه من الأفضل أن يلحق بالسفينة تسيثن فى وضح النهار . وحمل له البرق صدى مطاردته للسفينة الالمانية فى عرض البحر فقد كانت القيادة البحرية فى هوايتهول فى سرور عظيم للأنباء التى بلغتها بأن كتيبة المانية فى المحيط الهادى على وشك السقوط فى يد البحرية البريطانية .. وعند الفجر تلقى سامارز ردا على هذه الأنباء السارة ، فعلم أنه سينال الترقية التى طالما تمناها فى نهاية هذا العام اذا ما انجز المهمة المتوقع منه انجازها .

وحينما انتشر ضوء الصبح كان القبطان فون لوتز على ظهـر سفينته وهو يشعر بأن أمله الأخير قد تلاشى .. وعلى مدى الأفق البعيد استطاع بمنظاريه القويين أن يلمح هيكل البارجة الحربيـة الكبرى وتمثل له الموت فى ذلك الشيء الصغير الذى رآه خلال منظاريه لكنه وجد أنه لا تزال هناك فرصة لضرب احدى السفينتين .. واقتربت بنزانس من الجانب الأيمن للسفينة تسيثن ، فانتهزت هذه الفرصة ، واطلقت قنابلها تجاهها ، لكن المدى كان بعيدا اذ

سقطت القنابل فى الماء على مبعدة نصف ميل تقريبا من الهدف ، فارتفعت بسببها أعمدة المياه فوق سطح البحر . وبعد خمس ثوان تحولت بنزانس عن طريقها اثر أوامر مشددة صدرت اليها فراحت تبتعد عن نقطة الخطر بأقصى سرعتها التى تبلغ سبع وعشرين عقدة كى تفسح الطريق أمام مدافع « ليوبارد » عيار الاثنتى عشرة بوصة .

ووقف القبطان سامارز على ظهر ليوبارد ولمح السفينة تسيشن وهى تنحرف شرقا فى محاولة أخيرة لتشتيت الهدف بالنسبة لرجال المدفعية الانجليز ، لكن ليوبارد أيضا انحرفت شرقا فى اتجاه مواز لاتجاه السفينة الألمانية .. وكانت مدفعية ليوبارد تتكون أساسا من ثمانية مدافع عيار اثنتى عشرة بوصة يبلغ مدى كل منها ضعف مدى المدافع عيار الست بوصات وتزن قنابلها ثمانية أضعاف القنابل التى تطلقها محدثة قدرا كبيرا من الدمار يبلغ أضعاف ما تحدثه تلك المدافع عيار الست بوصات .

وانحرفت ليوبارد نحو اليسار بمقدار نقطتين كى تتمكن من حصر تسيشن فى مجال رؤيتها ثم استعادت طريقها الأصلى ، وبدأت المعركة .. ومن كل مدفع انطلقت قنبلة محدثة دويا يصم الآذان وانطلقت اثنتا عشرة قنبلة تقطع طريقها الذى يبلغ عشرة أميال وتزن كل قنبلة نصف طن وتحتوى جميعها على متفجرات كافية لتدمير مدينة لندن بأكملها .. وحلت النكبة بالسفينة تسيشن وهى تقوم بمحاولتها اليائسة الأخيرة لصد الهجوم .

وصاح قائد المدفعية وهو يرقب الموقف من برجه العلوى :

ـ قصروا المدى .. زيدوا الارتفاع الى مائتين ..

وأطلقت المدافع الأربعة الأخرى بدورها قنابلها وانطلقت فى الجو القنابل زنة النصف طن تقطع عشرة أميال فى نصف دقيقة وترتفع فى الهواء بمقدار ميلين .

وصاح قائد المدفعية مرة ثانية :

ـ قصروا المدى ..

وارتفعت أعمدة الماء هذه المرة بجوار تسيثن تماما .. وظلت القنابل تنطلق من المدافع التى يبلغ طول ماسورة كل منها خمسين قدما على مرات متتالية تفصل ما بين كل منها والأخرى فترة خمس وعشرين ثانية ..

وتوالت توجيهات قائد المدفعية :

ـ قف .. قصروا المدى .. اضربوا .. اضربوا .. اضربوا .. قف ..

وفى دقيقة ونصف دقيقة كانت تسيثن قد اصيبت بطن من القنابل المحتوية على طن من المتفجرات السريعة .. وتحطم سقف السفينة المنكوبة والتوت الواحها المصنوعة من الصلب وتمزقت كأنها الواح من الورق فى يدى عملاق . وانفجرت احدى القنابل فى قاعدة مدفع عيار ست بوصات على الجانب الأيمن للسفينة فأطاحت ببحارته ، وانقلب المدفع جانبا .. لكن السفينة كانت لا تزال بها حياة وكان العلم الألمانى لا يزال يرفرف عليها . واستدارت السفينة محاولة الاقتراب من العدو تماما كما حدث منذ خمسة أيام مضت حينما حاولت السفينة شريبدس الاقتراب منها .. لكن ليوبارد فعلت ما فعلته تسيثن حينئذ فقد كرت عائدة بأقصى سرعتها بحيث تظل تسيثن على مدى مرمى مدافعها . ولم تجد نفعا محاولات تسيثن الخاسرة للاقتراب من ليوبارد بحيث تتمكن من اصابتها بمدافعها عيار الست بوصات .. وتوالت أوامر قائد المدفعية على السفينة ليوبارد :

ـ اضرب .. قف .. اضرب .. اضرب .. يا الهى ! .

وأصابت القنابل السفينة بدمار عظيم فشاهدها قائد المدفعية وهى تتهاوى بين الأمواج وقد امتلأ الجو بالدخان لكنها كانت لا تزال تتحرك وربما تطلق مدافعها مرة ثانية ، لكن قنبلتين انطلقتا من ليوبارد لتستقرا وسطها فتحطمانها تحطيما .. وانفجرت خزانات الوقود والبخار فى آن واحد محدثة انفجارا عظيما وتصاعدت ألسنة اللهب وحجب الدخان كل شىء .. وحينما تلاشى الدخان بفعل

الهواء المتجدد ، لم يكن هناك شيء قط ، فقد لقيت تسيشن مصير زميلتيها « جود هوب ، مونماوث » نفس المصير الذى ينتظر كلا من « شارنهورمست ، ديفنس ، بلاك برنس » .

لقد غرقت تسيشن بكل ما عليها تحت وابل القنـابل .. اثنتا عشرة قنبلة انهت الأمر فى اقل من خمس دقائق .. واختفى كل من كانوا على ظهر السفينة وفيهم الأسيران الانجليزيان اللذان كان على براون أن يعنى بهما لكن السفينتين الانجليزيتين لم تعلما بوجودهما على ظهر السفينة .

وحمل الأثير أنباء هذا النصر العظيم وكان للقبطـان سامارز مطلق الحرية فى العودة الى انجلترا الى بحر الشـمال الكثيف الضباب كى ينتظر قدوم اليوم العظيم الذى يحصل فيه على ترقيته وكما تنبأ سامارز من قبل فقد أصبح معروفا بالرجل « الذى اغرق تسيشن » ولكن أحدا لم يكن ليعرف قط الى من يعود الفضل فى تحطيمها .

« تمت »



الثقافة والإرشاد القومي

# الدار القومية للطباعة والنشر

## مركز الإشعاع الثقافي
## في العالم العربي
## من القاهرة

### مكتبات الدار

- نيويورك
- لندن
- الجزائر
- بيروت
- طرابلس
- بغداد
- الخرطوم
- الاسكندرية
- القاهرة

### يصدر عنها

روايات عالمية | الكتاب الماسي

مذاهب وشخصيات | من الشرق والغرب | كتب سياسية

كتب قومية | في المسرح العالمي | اخترنا الـ

اخترنا للجندي | اخترنا للطالب

دراسات اشتراكية | رسائل جامعية

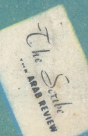
مجلة الإذاعة والتليفزيون

مجلة بناء الوطن
















Der Schreiber
DIE ARABISCHE RUNDSCHAU